روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

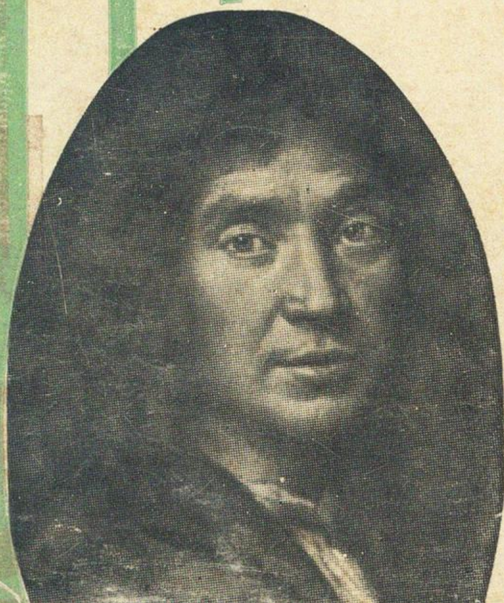
موليير

دون جوان

ملهاة

ترجمة

يوسف محمد رضا



دار الكتاب اللبناني

روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

موليير

دُونْ جوَان

ملهاة

ترجمة

يوسف محمد رضا

أستاذ اللغة والأدب في الرابطة الفرنسية سابقاً

عضو الأكاديمية اللاتينية بباريس

منشورات

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

المقدّمة

بعد الحروب العنيفة التي دارت بين أنصار كنيسة روما وهم الكاثوليك، وبين أتباع حركة الإصلاح الديني ، ظهر نوع من الاستقرار السياسي الذي انعكس على الحياة وعلى مفاهيمها جديداً في فرنسا ، ثم شهدت فرنسا الصراع المرير بين أمراء الإقطاع وبين الملكيين ، وانتهى هذا الصراع بانتصار الملكيين وسيطرتهم ، ولذلك هيمن على البلاد حكم مطلق وصار الملك يستمدّ سلطته من الله مباشرة . ومن هنا سادت فكرة النظام واعتمدت عليها المدرسة الكلاسيكية ، التي نظرت الى الآثار اليونانية والرومانية نظرة إكبار وإعجاب ، ووجدت في آثارهم الفكرية والأدبية ينبوعاً ثراً للمقتفين ، ثم ظهر بوالو الذي دعا الى الاعتماد على العقل اعتماداً مطلقاً والاهتداء بهديه ، ولا يمكن ان نهتدي بهديه الاّ اذا عكفنا على آثار القدماء التي بلغت حداً رائعاً من النضج والكمال .

وظهرت المدرسة الكلاسيكية الفرنسية في القرن السابع عشر واقتفت خطوات اليونان والرومان معتمدة فصل الألوان الأدبية في المسرح الى

مأساة وملهاة . وكما ظهر أعلام في المسرح اليوناني القديم أمثال أسكيلوس وأوربيدس وسوفوكليس وأرسطوفان ظهر كذلك في القرن السابع عشر كورني وراسين وموليير ، واحتفى كورني وراسين بالمآسي بينما اهتم موليير بالملهاة ، وسما بها الى مستوى رائع جعلها فناً قائماً بذاته ، له أبعاده ومفاهيمه ، بعد ان كانت عبثاً وصخباً وتهريجاً ، وذلك فصل بين التراجيديا والكوميديا اعتمده القدماء .

كان موليير من تلاميذ مدرسة اللذة الأبيقورية التي تعتبر الاعتدال الطريق المثلى لنجاة الانسان كما ان الانحراف يسبب الشقـــاء والتهوُّر . لذلك فقد اعتمد على العقل ووجده المنقذ الوحيد من الضلال . فهو يؤمن بقوة الأهواء وسيطرتها على الانسان وكأنها القدر في المسرح اليوناني القديم ، ولكن الانسان ينازع كثيراً بتـأثير مشاعره التي تعتلج في صدره ، وهذا مـــا يفسر لنا اعتماد موليير على التحليل وليس على حبكة الأحداث . فالملهاة عنده تقوم على التحليل الدقيق الذي يرقى بأبطاله حتى يصبحوا نماذج إنسانية رائعة . /

وحتى لا تتداخل المأساة بالملهاة عند موليير افترض مبـدأ المسؤولية الذي يفرض السخرية على أبطاله ، وهذه المسؤولية هي التي تجعل البطل محتقَراً وموضع سخرية وتهكم وازدراء إذ أنه يستطيع أن يغير مسراه وله الحرية في ذلك ، ولكنه لا يفعل .

وهنا يرتفع عنصر الملهاة ، وهذا الذي يقودنا الى الضحك بملء أشداقنا من نماذجه المتمزقة .

والميزة التي تهيمن على ملهاة موليير هي الواقعية ، حيث لجأ الى الحياة واستطاع أن يغرف من معينها ما يريد وأن يقدّم لنا نماذج واقعية ، ولا نعدم أن نجد لها أشباهاً في حياتنا اليومية .

وصفة الواقعية تقترب من أذواق الناس جميعاً وهي من جهة أخرى تناسب الملهاة كثيراً ، حتى أننا نكاد نلمس خطوطها العريضة وهي في مرحلة تكوينها ، ومن هذه الواقعية التي انطلق منها موليير قدم لنا نماذج رائعة لم تزل تمثّل وتلقى نجاحاً مستمراً .

والواقعية هي الوقود الأول لكل فن رائع ، إذ أن هذه الملاحظة الدقيقة التي تصحبها تحتم على الأديب أن يتكلم بصراحة وصدق بالفَن ، وتجعله عندها ألصق بالنفس البشرية وأكثر عمقاً من أي فن آخر . يقول سانت بيف عن موليير : « إن أهم خصائص عبقريته هي الانسانية الأبدية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتصوير عادات عصره ، وإن ملابس شخصياته تخفي تحتها الانسان في كل العصور ». ويقول الدكتور علي درويش : « أما موليير فقد تصدى للعيوب والرذائل التي تصيب البشرية في جميع البلاد — إلا أن إنتاج موليير يدخل في إطار أوسع يضم القصر والمدينة والقرية فضلاً عن بهو طويل يحتوي على العديد من آفات البشرية » . . .

وفي مسرحية دون جوان تبدو هذه السمة واضحة وبيّنة ، فهي مأخوذة من واقعنا الاجتماعي المفعم بأولئك الذي يتتبعون الفتيات وهمهم أن يصطادوا قلوبهن ويصلوا اليهن بشتى الوسائل . فالواقعية كما نرى هي غذاء المسرحية ، ودون جوان إنسان يذوب في الجنس ويتبعه الى أقاصي

المعمورة ولو كلفه ذلك كل حياته . ففي احدى مغامراته يشرف على الهلك والموت وبعد أن ينجو بنفسه ينسى ما ألمّ بهمن مِحَنٍ وأرزاء فيهتف مخاطباً سغاناريل : « آه ! آه ! من أين برزتْ هذه الفلاحةُ الأخرى يا سغاناريل؟ هل رأيتَ أجملَ منها ؟ قلْ لي : ألا ترى أن هذه الحسناءَ لا تقلُّ قيمةً عن الأخرى ؟ » هذا وينخرطُ مع الفلاحة في غزَل غريب وسريع بقصد اصطيادها ورميها في أشراكه .

وهذه المسرحية تمثل فن موليير الهزلي أروع تمثيل ، ولعل موضوعها المنتزَع من حياة النبلاء والإقطاعيين الذين قضت عليهم جيوش الملك ، أتاح له أن يحلل هذه النفسية العجيبة تحليلاً رائعاً ونافذاً وأخاذاً .

فالمسرحية تعتمد على شخصيتين متلازمتين ومتناقضتين في نفس الوقت ، فلئن كان سغاناريل ملازماً لمولاه دون جوان فهو لا يؤمن بأفكاره التي تتنكر للسماء ولإرادتها ولقوانينها التي تنتظم سلوك الناس وسيئاتهم وحسناتهم سواء بسواء . وسغاناريل إنسان يؤمن بقوة السماء وحتمية العقاب وهو مؤمن بانحراف سيده وشططه عن الطريق المستقيم بينما يمثل دون جوان نموذجاً للإنسان المتهتك الخليع الذي ورث المجد عن آبائه ولكنه لا يستطيع الحفاظ عليه ، وظهر هذا الانحراف في سلوكه الشاذ وفي تخبطه في شهواته الحيوانية التي كانت تقضُّ مضجعه وتجعله رحالة ودواراً مستمراً في حلقات زمنه الفارغة إلا من اللهو والعبث .

ولعل موليير عندما أراد أن يضحكنا من دون جوان كان له هدف

تربوي بنّاء . فنزعة النظام الملكي والتقيد بآراء القدماء وأقوالهم ، جعلت موليير يخلق من دون جوان بطلاً شاذاً يستحق كل سخرية وتهكم حين ألزمه بمبدإ المسؤولية وهنا تصميد العيوب في الملهاة عند موليير ، فدون جوان إنسان يدرك تمام الإدراك أنه مخطىء وأنه يرتكب الإثم والفاحشة ومع ذلك يتمادى في غيه وانسيابه وراء شهواته البهيمية .

ولعل استيقاظ المناطق السفلى في الانسان من أسوإ ما تقدمه الطبيعة له إذ تعطيه الوعي والحيوانية في الوقت ذاته ، وهنا سر الحياة والانسانية معاً ، وبمقدار ما يغلق الانسان أفواه غرائزه يستطيع أن يفتح نصراً لإنسانيته التوّاقة الى التحرر والتعرّي من الحيوانية ، ولا بد من الصراع بين الغرائز السفلى ومنطقة الوعي والشمول . وهذا الصراع هو الذي يؤدي الى احترام الانسانية والى فرض نوع من الرهبة على المآسي التي تناولها كورني وراسين .

أما في مسرحيات موليير فهذا الصراع ليس مفروضاً ،ومن هنا لا نحس المرارة في نفوس أبطاله ، بل هم على العكس أناس متهالكون على الحياة ينساقون مع تياراتها أنّى انحرفت وكيف تقولبت ، وهذا ما يضحكنا من هذه النماذج. ففي مسرحيته هذه نجد أحياناً أن سغاناريل يحاول إرجاع سيده الى جادة الصواب مبيّناً روعة النظم الكونية والعقاب والثواب ومع ذلك فلا نجد أثراً لهذا في نفسية دون جوان وهو يرى ان السماء ليست دقيقة كما نتصور فخادمه سغاناريل المحافظ يخيفه من نتيجة ذلك العمل الذي قام به تجاه تلك الفتاة المسكينة التي غرّر بها وأخرجها من الدير .

يقول سغاناريل مخوّفاً : «حقاً وإنني أوافق على أنه ربما كان هذا ممتعاً جداً ومسلياً جداً ، وكان بودّي أن أفعل نفس الأمر لو لم يكن في ذلك أي ضرر ، ولكن يا سيدي أن تستهتر هكذا بسر من الأسرار المقدّسة و...» وعندها يجيب دون جوان بكل سخرية : « هيا ... هيا ... هذا أمر بيني وبين السماء ، وسوف نسوّيه معاً من غير أن تشغل بالك. » وهنا يبدو التناقض الواضح بين الشخصيتين اللتين تمثلان الحياة بنظامها وانحرافها ... يقول سغاناريل : « والله يا سيدي لقد سمعتهم دائماً يقولون ، ان من أقبح الأشياء أن يجدف الانسان بالسماء وان نهاية الكافرين بها لن تكون طيبة » ويجيب سيده : « مهلاً يا رئيس الأغبياء ، قلتُ لك إنني لا أحب المواعظ » وفي جوابه هذا يبدو لنا أن الكلمة التي خاطبه بها خادمه لم تؤثر فيه شيئاً ، فهو إنسان يؤمن بالمحسوسات وبالأشياء التي تملأ كيانه ووجوده .

نستطيع أن نرى انحراف هذه النفس الغريبة من خلال تصوير موليير الدقيق ، فنفسية دون جوان ليست نفسية فرنسية منحرفة فحسب ، وإنما هي نفس إنسانية تتلاعب بها الشهوات ويدفعها حب المغامرة الى أقاصي الدنيا ، وهكذا يجوس موليير أقاصي النفس البشرية وينبش كنوز عواطفها وانحرافاتها ويصور هذا الانحراف وهذا الشذوذ تصويراً بارعاً ، وبذلك تخرجه نماذجه عن أطر الاقليمية لتمثل الانسان في كل مكان وفي كل آن .

وهذه ميزة الفن الخالد الذي يتعدى القيمة التاريخية للأثر الفني وتتجدد روعته بتجدد الانسان ، وهذا لا ينتج إلا عن تأمل ووعي عميقين ، فلم

يكن موليير يرتجل أبطاله ارتجالاً بل كان يعيشهم تجربة روحية وملاحظة دقيقة ، وكان يخصص يوم السبت من كل أسبوع ويجلس الى أحد الحلاقين ليتعمق في فهم النفس وسبر أغوارها ، ولعل تجواله البعيد في الريف أتاح له أن يتأمل وعيه وأن يجمل عين بصيرته تتكامل وتنفذ الى أغوار الأشياء، حتى أن صديقه بوالو دعاه المتأمل .

ومن دلائل انحراف دون جوان تهربه من رباط الزواج المقدس ومحاولته تبرير ما يعمل وما يرتكب من إثم وفواحش ، يقول مبرراً عمله : « ماذا؟ هل تريد أن يجبَر الرجلُ على أن يظل مرتبطا بأول امرأة استولت على قلبه وأن يهجر العالم من أجلها وألاّ ينظر الى امرأة أخرى ؟ ما أجمل أن يدّعي الانسان أن الاخلاص فضيلة وأن يدفن نفسه الى الأبد في حبٍّ واحد ، وأن يظل منذ فجر شبابه غافلا عن أي جمـــال آخر قد يلفت نظره . لا لا ! إن الثبات في الحب لا يلائم إلاّ البلهاء من الناس ، جميع الحسناوات لهن الحق أن يسلبن لبّنا ، ولا يصح أن يكون لأول حسناء التقينا بها ، الحق في أن تسلب الأخريات نصيبهن العادل من قلوبنا. أما من جهتي فإن الجمـــال يبهج نفسي أينما وجدته وما أسهل ما أنقاد الى قوة جاذبيته العذبة .

مهما ارتبطتُ بحسناء فإن الحب الذي أكنه لهـــا لا يحملني على ظلم الأخريات ، إن لي عينين أحتفظ بهما لأرى مزاياهن جميعاً ... ولو كان لي عندي مائة ألف قلب فإنني أهبها جميعاً للمرأة الجميلة التي تطلب حبي، وما لذة الحب الا في التنقل.» ولعل هذه الفلسفة في الحب تذكرنا بشاعر المجون

والعبث عمر بن أبي ربيعة الذي كان يتغزل بكثير من الفتيات في آن واحد:

بَيْـنما يَذْكرْنَني أبصَرْنني دونَ قيدِ الميلِ يعدو بي الأغر
قالتِ الكبرى أتعرفنَ الفتى قالتِ الوُسْطى نعم هذا عمر
قالتِ الصُّغرى وقد تيَّمتُها قدْ عرَفناه وهل يَخفى القمر
ذا حبيبٌ لم يُعَرِّجْ دوننا ساقَهُ الحينُ إليْنا والقدَر

فهو حبيبهن جميعاً لا يشعر بذوبان كلي في حب فتاة بالذات ولا ينسحق في حب عذري كجميل .

ولم تقتصر عيوب دون جوان ورذائله على التغرير بتلك الفتاة المسكينة ثم إهمالها واتباع ملذاته ، بل تبدو عيوبه وشروره في مواقف كثيرة منها ذلك الموقف الذي يحتال فيه على مَدينه السيد ديمانش ويحاول جاهداً أن يبعده عن المطالبة بدينه كلما حاول ذلك :

السيد ديمانش: — أنا خادمُك يا سيدي ، لقد جئتُ ...

دون جوان : — هيا بسرعة أحضروا كرسياً للسيد ديمانش .

السيد ديمانش: — ليس هناك ما يدعو الى ذلك يا سيدي ، فليس لديّ سوى كلمةٍ أقولها لك . كنتُ أريد ...

دون جوان : — اجلس هنا ، أقول لك .

هذا الاحتيال على حقوق الناس يبين ضعته والتناقض بين أصله النبيل وبين سلوكه الشرير بين الناس ؛ وهكذا نرى أن موليير يعطي أبطاله كل الصفات التي تؤهلهم ليكونوا شرفاء ولكنهم ينحرفون وهنا تكمن المسؤولية، وهذا ما يضحكنا منهم ، ويجعلنا نرى فيهم نماذج منحرفة .

ومن عيوبه الفاضحة تهكمه على والده الذي يحاول جاهداً أن يجعله ابناً معتدلاً مثل غيره من الناس، ولكنه يأبى الا ان يتمادى في غيه. يقول والده: «انني أتضجّر كذلك من سلوكك الفاضح ... إن هذه السلسلة التي لا نهاية لها من الأعمال المنكرة ، التي ترغمني في كل ساعة على إزعاج المليك الطيب ، والتي استنفدتْ في نظره حسنات خدماتي ومكانة أصدقائي . » وعندما يخرج والده لا يكترث ويقول : « إيه ! متْ بأسرعَ ما تستطيع أن تموت ، فهذا ما يجب أن تفعله . يجب أن يقوم كل إنسان بدوره ، وإن ما يغيظني هو أن أرى الآباء يعيشون بقدر ما يعيش أبناؤهم . » وبذلك يغدو دون جوان إنساناً شريراً لا يصلح لشيء ، وهو ليس وقفاً على أمةٍ بذاتها وانما هو نموذج عن النفس المنحرفة في كل العصور والأمكنة .

ولعل الفشل الذي أصيب به موليير في حياته وتجواله في مناطق متعددة ثم تجربته القاسية مع زوجته اللعوب ، لعل تلك الأشياء جميعها صبغت نظرته الى الحياة بمرارة تبدو كثيراً في كثير من نماذجه المختلفة. غير أنه استطاع أن يحيل هذه المرارة الى تهكم لاذع وهجاء مفزع، ولعل الملهاة نوع من أنواع الهجاء العنيف ولكنه يضحك كما يضحك هجاء ابن الرومي رغم قساوته وشدته ، فحياة كل من ابن الرومي وموليير متشابهة الى حد

بعيد ، فقد كانت حيـــاة ابن الرومي سلسلة من الآلام المتواصلة وكذلك كانت حياة موليير ، حيث صبغت نظرته بصبغة قاتمة ومؤثرة وجعلت منه إنساناً بائساً ولكنه حوّل كل ذلك الى سخرية لاذعة واحتقـــار مقيت وكذلك فعل ابن الرومي الذي نظر الى المنحرفين في الحياة وصورهم تصويراً عجيباً ، كان يقول مثلاً في وصف بخيل :

يقترُ عيسى على نفسِهِ وليس بباقٍ ولا خالدِ
ولو يَستطيعُ لتقتيرِهِ تنفسَ من منخرٍ واحدِ

وكذلك عكف موليير على النفس الانسانية وتعمق في دراستها وعرّاها تعرية شاملة ، ومن هذه النقطة بالذات صعّد نكتته وسخريته. فالأحداث عنده بسيطة جـــداً ولكن الرائع في هذا هو التحليل النفسي وكشف العيوب حتى يصبح البطل نموذجاً قائماً بذاته .

ولو حاولنا ان نتبين التحليل في مسرحيته هذه لوجدنا أن دون جوان ذلك الانسان العجيب يحاول ان يتحلل من كل ناموس كوني وانه يحاول بأسلوبه الخداع ان يحتال على قلوب الفتيات جميعاً ويحاول أيضاً ان يدافع عن انحرافه وشذوذه ويبدو التحليل رائعاً في نفسيتين متناقضتين تؤمن كل منهما بقيم تغاير القيم الأخرى . فسغناريل يؤمن بالوجود وبالرب وبحتمية الجزاء وسيده يرى الكون فراغاً متصلاً ووهجاً ضبابياً ولذلك يحاول كل واحد منهما ان يدافع عما يؤمن به بشتى الوسائل؛ فعندما يتمنى دون جوان أن يقبّل جميع أفواه الفتيات في العالم ، يـدل هذا على الانحراف الغريب

الضيق بنفسية ذلك الانسان الذي أعمته الشهوات وجعلته يذرع الوجود في سبيل تحقيق نزقه وشذوذه ، ورحلاته كانت صورة عما يعتلج في نفسه من شره يكاد يلهب مشاعره فتلهث شوقاً للجنس وظمأ للحياة .

وموليير كتب مسرحياته العابثة ليضحك جماهير الشعب لا ليرضي نقاد الأدب ، ولذلك كان يختتم ملهاته كيفما اتفق عندمـا يضحك جمهوره ونحس هذه الخاتمات الضعيفة في كثير من مسرحياته. ففي مسرحية البخيل وبعد أن يضحك جمهوره ، يخبرنا أن أنسيلم هو والد ڤالير وماريان ، كما يظهرنا على السارق الذي يعد بإعادة الصندوق إذا خضع أرباغون لشروطه ، فهذه النهاية لا تتفق مع روعة الملهاة ونسيجها المتفاعل وكذلك في ملهاة دون جوان يختتمها بصاعقة تنزل على دون جوان وهذه النهاية أليق بالمأساة ولكن موليير لا يأبه للنهاية بعد إضحاك الجماهير .

من كل ما تقدم نجد أن موليير استطاع أن يستخلص من الحياة العادية نسيجاً فنياً رائعاً فكان في هذا نسيج وحده واستطاع أن يرقى بالملهاة الى مستوى فني رائع خلّد موليير وفنه بما يحمله من عناصر إنسانية وفنية .

عمر شبلي

أشخاص المسرحية

دون جوان	ابن دون لويس
سغاناريل	خادم دون جوان
الفير	زوجة دون جوان
غوسمان	سائس الفير
دون كارلوس	أخوا الفير
دون ألونس	
دون لويس	والد دون جوان
شارلوت	قرويتان
ماتورين	
بييرو	قروي
تمثال الكومندور	
لا فيوليت	خادما دون جوان
راغوتان	
السيد ديمانش	تاجر
لا رامِه	سيّاف
فرنسيسك	شحّاذ
أتباع دوان جوان	
أتباع دون كارلوس ودون ألونس	
شبح	

تجري حوادث المسرحية في إحدى مدن جزيرة صقلية ولعلها بالرمو .

الفصل الأول

المشهد الأول [1]

سغاناريل — غوسمان

سغاناريل : — (وهو ممسك بعلبة الدخان[2]) مهما استطاعَ أرسطو أن يتفلسفَ والفلسفةُ كلُّها أن تقول، فما من شيءٍ يعادلُ

---

١) تدور حوادث الفصل الاول في قصر .

٢) عرف التبغ ، الذي اكتشفه كريستوف كولومبوس والذي ادخله الاسبانيون الى أوروبا ، رواجاً كبيراً منذ سنة ١٥٦٠ ، العصر الذي أرسل منه جان نيكو (١٥٣٠ - ١٦٠٠) سفير فرنسا في البرتغال الى كاترين دي ميديسيس كدواء لصداعها . وقد بلغ ولع الناس به الى درجة أن راحوا يسمونه : العشبة المقدسة ، العشبة الصالحة لكل الآلام ، الدواء الشافي لكل الأمراض ، مما حمل لويس الثالث عشر على منع بيعه ؛ وكانت تعليمات الشرطة في باريس عام ١٦٣٥ ، ألا يُسمح ببيع التبغ الا في الصيدليات وبأمر من الطبيب . أما البابا اوربانيوس الثامن ، الذي مات عام ١٦٤٤ ، فقد كان يهدد بالجحيم كل من يدخنه وكل من يتنشقه في الكنائس . وفي عام ١٦٢٧ ، قال شارل سوريل على لسان منتنور في « الراعي المجنون » : « التبغ هو فاكهة جهنم وليس لحماً سماوياً » . وإذا كان لويس الرابع عشر لا يتنشقه ، فان الوصي على العرش كان مدمناً عليه . وفي عام ١٦٧٤ فضّل كولبير أن يحتكره لصالح الدولة وأن يجعل منه مصدر دخل للخزينة. ولقد كان موليير في ديجون عندما منع المجلس البلدي عام ١٦٥٧ استعمال التبغ. (المترجم)

التبغ : إنه متعة أفاضلِ الناس وأكابرِهم ، ومن يعشْ بدونِ تبغٍ فليسَ جديراً بالحياة . فهو لا يَقتصرُ على إنعاشِ النفسِ وتنقيةِ أدمغةِ البشر ، بـل إنه يُربي النـاسَ على الفضيلةِ أيضاً ، وبه يتعلمُ المرءُ أن يكونَ إنساناً نبيلاً . ألا تَرى بوُضوح كيف يتصرف الإنسان مع كلّ الناسِ بمنتهى المروءة بمجرد أن يتنـاولَ منه ، وكيف يشعرُ بالبهجةِ حين يوزّعه ذاتَ اليمين وذاتَ اليسار في كل مكان يوجد فيه ؟ بـل إنه لا ينتظرُ أن يُطلبَ اليه ذلك ، فهو يُبادرُ الى تحقيق رَغبةِ الناس فيه ، مما يؤكدُ صحةَ القولِ بأن التبغَ يوحي بمشاعرِ الشرفِ والفضيلة لكلّ من يتعاطاه . ولكن كفـانا كلاماً عن هذا الموضوع ، ولنعدْ قليلاً الى حديثِنـا . إذن فقد بلغَ الأمرُ بسيدتِك يا عزيزي غوسمان ، التي أدهشها رحيلُنا ، أنها راحتْ تتبّعُ أثرَنا ، وإن قلبها الذي عرَفَ سيدي كيف يسيطرُ عليه تماماً لم يستطعْ أن يعيشَ ، كما تقول ، دون أن تأتي لتبحثَ عنه ههنا. هل تريدُ فيما بيننا أن أصارحَكَ برأيي ؟ أخشى ألاّ يُقابلَ حبّها بالمثل ، وألاّ يكونَ لرحلتِها الى هذه المدينة من فائدة، وانه كان من الخير لكما لو بقيتما هناك.

غوسمان : — ومـا سببُ ذلك ؟ قلْ لي ، أرجوكَ يا سغاناريل ، مـا الذي يُثيرُ في نفسِكَ هذا الخوفَ المشؤوم ؟ هل

أمرَّ اليك سيدُك بشيء عن ذلك الموضوع ، وهلْ قال لكَ إنه شعرَ نحونا بشيء من الفتور حملَه على الرحيل؟

سغاناريل : — كلا ، ولكنني في ما أرى أعرفُ تقريباً مجرى الأمور؛ فعلى الرُّغمِ من أنه لم يقلْ لي شيئاً حتى الآن ، فإنني لأكادُ أراهنُ بأن الأمرَ سيؤدي الى ذلك . قد أكونُ مخطئاً ، إلاّ أن التجربةَ منحتْني بعضَ اليقينِ في مثل هذه المواضيع .

غوسمان : — ماذا ؟ هذا الرَّحيلُ المُفاجىءُ سَيكونُ إذن خيانةً من دون جوان ؟ أيمكنُ له أن يُهينَ دونا ألفير في حبِّها الشريف ؟

سغاناريل : — أستبعد ذلك لأنه مازال شاباً وليس عنده الشجاعة...

غوسمان : — رجلٌ في مثلِ مَكانتِه يُقدِمُ على ارتكابِ عملٍ دَنِيءٍ كهذا ؟

سغاناريل : — اي نعم ، في مثل مكانته ! السببُ وجيه ، ومن أجل ذلك فإنه يمتنعُ عن القيامِ بأشياءَ أخرى .

غوسمان : — ولكنه مُلزَمٌ بروابطِ الزواجِ المقدّسة .

سغاناريل : — ايه أيها المسكين غوسمان، صدّقني يا أيها الصديق،إنك لا تعرفُ حتى اليوم دون جوان ، ولا تعرفُ أيَّ نوعٍ من الرجال هو .

غوسمان : — الحقُّ إنني لا أعرفُ أيَّ نوعٍ من الرجالِ يمكنُ أن يكون ، إن كان حقاً قد غدَرَ بنا بهذه الطريقة ؛ وأنا لا أفهمُ أبداً بعدَ كلِّ حبِّه هذا ودلائلِ نفادِ صبرِهِ ومظاهرِ الاحترامِ والتوددِ والأمانيِّ والتنهداتِ والدموع ، بعد كل الرسائل الغرامية ، والأيمان المغلظة ، وأخيراً بعد كل العواطف الملتهبة ، وكل ما أبداه نحوها من اندفاعٍ وتحمسٍ حتى انتهى به هواه آخرَ الأمرِ الى أن يحطمَ الحاجزَ المقدَّسَ لأحدِ الأديرة كي يُخرج منه دونا ألفيرا ويضمها تحت سلطتِه ، أقولُ انني لا أفهمُ بعدَ كلِّ هذا كيف يطاوعهُ قلبه على الاخلالِ بوعدِه.

سغاناريل : — أما أنا فلا أجدُ صعوبةً في فهمِه ، واذا كنتَ تعرفُ ذلك ، فستجدُ أن الأمرَ في منتهى السهولة بالنسبة اليه. أنا لا أقولُ إن عواطفه نحو دونا ألفيرا قد تغيرت فما زلتُ غير متأكد من ذلك : فأنت تعلم أنني سافرت قبله بناءً على أمره ، ومنذ مجيئه لم يكاشفني بشيء ، ولكنني أنبئُكَ على سبيلِ الإحتياط ، وذلك سر بيننا ، انك واجدٌ في سيدي دون جوان أكبرَ نذلٍ ظهر على وجه الأرض ، فهو غضوبٌ وكلبٌ وشيطانٌ وعنيدٌ وملحد ، لا يؤمنُ بالجنةِ ولا بالنارِ ولا بالسَحَرة والعفاريت ، يعيشُ حياتَه هذه كوحشٍ

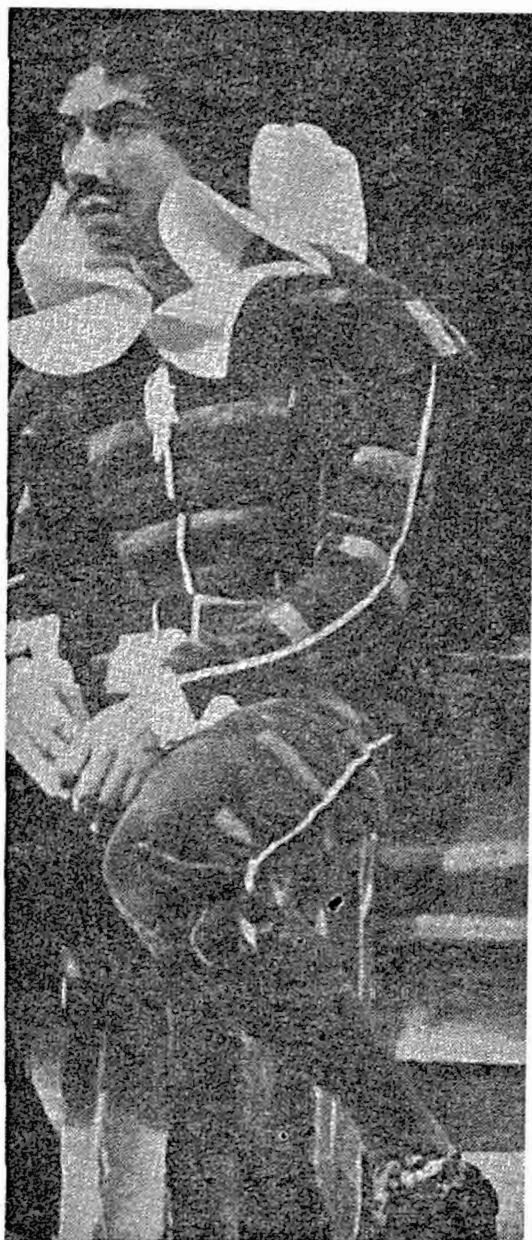
كامر ، كخنزيرٍ من خنازيرِ أبيقور ، وكسردنابال[1] حقيقي يُصِمُّ أذُنيه عن كلّ ما يوجّه اليه من تأنيبٍ وينظرُ الى كل ما نؤمنُ به نظرَته الى شيء تافه باطل .
تقول لي إنه مُتزوج من سيدتك : صدّقني إنه يستطيع أن يفعلَ أكثرَ من ذلك ليُرضي شهواتِه ، وإنه كان من الممكن ألاّ يتزوجَها هي فحسب ، بل ومعهـا أنت ، وكلبَها وقطتَها . ان الزواجَ عنده لا يُكلّفُه شيئاً ؛ وهـو لا يَعمد الى نَصْبِ فِخاخٍ أخرى للايقاع بالحسناوات .. انه رجل مُستعد لأن يُقدِمَ على كل أنواعِ الزواج : سيدة ، آنسة ، بنت ذوات ، قروية ، امرأة مثيرة او فاترة ، كُلُّهن عنده سواء ، واذا ذكرتُ لك أسماء كلّ اللواتي تزوجَ منهن في شتى الأماكن فلن أنتهي من تَعدادِهن قبلَ المساء . إنك لَتَبدو مُندَهِشاً وإن وَجهَكَ لَيَمتقع لِسماعِكَ هذا الحديث ، ولكن ليس هذا إلا الخطوطَ الأولى لشخصيته ، إذ أن الأمرَ يحتاجُ الى لَمَسات أخرى لكي أنتهي من رسم صورتِه . يكفي أن أقول إنـه لا بد أن يبوءَ بغضبِ السماء ذاتَ يوم ، وإنه من الخير لي أن أكون للشيطان من أن أكونَ له ، وانه يُريني من الأهـوال ما يَجعلني أتمنى لو يكون في مكانٍ لا

---

١) ملك خرافي من ملوك أشور كان مشهوراً بالتهتك والخلاعة .

أعرِفه . ولكن عندما يكون السيدُ العظيم انساناً شريراً فإن ذلك لأمرٌ رَهيب .. ثم إنه يجب أن أكونَ وفياً له رغم احتقاري إياه : إذ أن الخوفَ يَدفعني الى التحمُّسِ والى كَبحِ مَشاعري، ويحملُني أغلبَ الأحيان على استحسان أشياء تحتقرُها نفسي...
ها هو ذا قد جاء يتنزه في هـذا القصر : فلنفترق .
إصغِ إليّ قليلاً : لقد أسررتُ اليكَ بهذه الأمور بصراحة ، ولقد خرجَ ذلك من فمي بسرعة ، ولكن اذا حدثَ ووصلَ الى مسامِعِه شيءٌ من هـذا ، فسأقولُ جِهاراً إنكَ كاذبٌ في ما تقول .





سغاناريل: — ان الخوف يدفعني الى التحمس والى كبح مشاعري، ويحملني أغلب الاحيان على استحسان أشياء تحتقرها نفسي ..

المشهد الثاني

دون جوان ـ سغاناريل

دون جوان : — من ذلك الرجلُ الذي كان يُكلمُك ؟ انه فيما يُخيلُ إليّ يُشبه غوسمان خادمَ دونا القير الطيب .

سغاناريل : هو شيء قريبٌ من ذلك .

دون جوان : — عجباً ! أهو غوسمان ؟

سغاناريل : — هو بنفسه .

دون جوان : — منذ متى هو في هذه المدينة ؟

سغاناريل : — منذُ ليلةِ أمس .

دون جوان : — وما الذي أتى به ؟

سغاناريل : — أعتقدُ أن لديك فكرةً كافيــةً عما يُمكنُ أن يُشغِلَ بالَه .

دون جوان : — رحيلِنا من غيرِ شك ؟

سغاناريل : – لقد سبّبَ للمسكين غمّاً كثيراً وكان يسألني عن السبب في ذلك .

دون جوان : – وماذا كان جوابُك ؟

سغاناريل : – قلتُ له إنك لم تقلْ لي شيئاً ؟

دون جوان : – ولكن ما رأيُكَ أنت في هذا الموضوع ؟ ماذا تتخيلُ عن هذه القضية ؟

سغاناريل : – أعتقد ، دون أن أسيءَ اليك ، انك تُفكرُ في غرامٍ جديد .

دون جوان : – هل تعتقدُ ذلك ؟

سغاناريل : – نعم .

دون جوان : – لَعَمْري أنت لا تُخطىء ، ويجبُ ان أعترفَ لك بأن هناك امرأةً أخرى طردتْ القيرَ من فكريَ .

سغاناريل : – إيه يا إلهي ! إنني أعرفُ دون جوان حَقّ المعرفة ، وأعرفُ أن قلبَك هو أكبرُ قلبٍ مُتنقل في العالمِ ، إذ يسرّه أن يتنقل من قيْدٍ الى قيد ، ولا يطيبُ له أبداً أن يظل في مكان واحد .

دون جوان : – قل لي ، ألستَ تراني على صواب حين أتصرّف بهذا التصرّف ؟

سغاناريل : — ايه ! سيدي .

دون جوان : — ماذا ؟ تكلمْ .

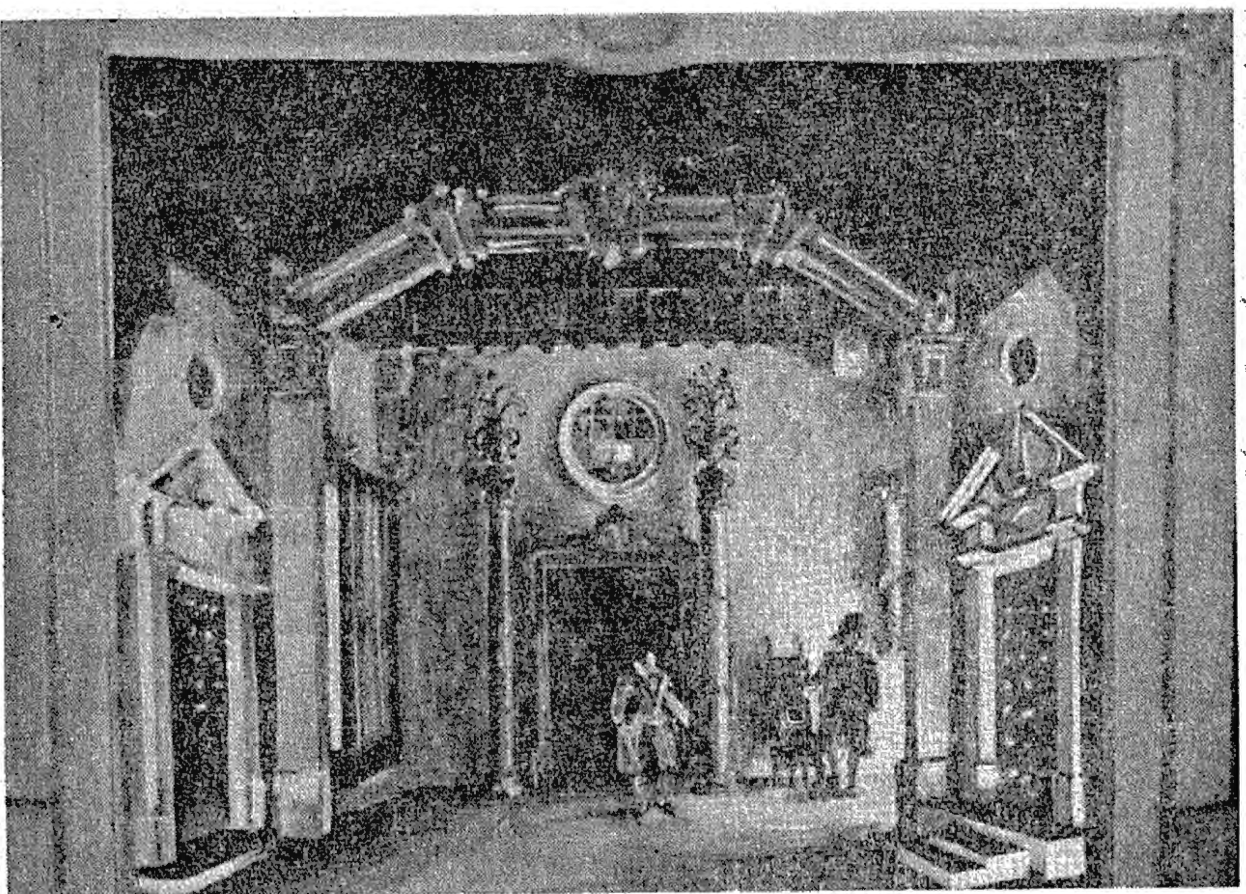
سغاناريل : — أنتَ على صواب لا شك ، اذا كنتَ تُريد ذلك . ولا يستطيعُ المرءُ أن يَرى خلافَ هذا . أما اذا لم تكن تُريده ، فربما يختلف الأمر .

دون جوان : — حسناً ! إنني أعطيك الحريةَ في أن تتكلمَ وتُحدثني عما يجولُ بخاطرك .

سغاناريل : — في هذه الحالة يا سيدي سأقولُ لك بصراحة انني لا أستحسنُ أبداً طريقتَكَ ، وانني أستقبحُ كثيراً أن يُحِبَّ المرءُ أنّى اتجه كما تفعلُ أنت .

دون جوان : — عجباً ! هل تريد أن نظلّ مرتبطين بأول امرأةٍ يَهواها قلبُنا وان نتخلّى عن العالَم من أجلها ، وأن نَغُضَّ الطرفَ عن أية امرأة أخرى ؟ ما أجملَ أن يعمدَ المرءُ الى التفاخُرِ بفضيلةٍ زائفة بدلَ أن يكون مخلصاً حقاً فيدفنَ نفسَه الى الأبد في حب واحد ، وأن يَغْفَلَ ، وهو في ريعان الشباب ، عن كلّ جمالٍ آخر قد يُلفتُ نظرَه ! لا ، لا ، ان الثباتَ في الحب لا يَليقُ إلا بالسخفاء ؛ ان لكل الحسناوات الحقّ في أن يَسْحرننا، ولا يحق لواحدة أُتيحَ لنا أن نَلتقي بها

قبلَ غيرها ان تَسلُبَ الأخريات ما لهن من حقوقٍ عادلة في قلوبنا . أما أنا ، فان الجمالَ لَيُبهجني أينما وجدْته ، واني لأستسلم بسهولة لهذه القوة العذبة التي تجذبنا اليها . ومهما ارتبطتُ بحسناء ، فان الحب الذي أكنّه لها لا يَحملني أبداً على ظلمِ الأخريات ؛ ان لي عينين أحتفظُ بهما لأرى مزاياهن جميعاً ، وأقدّمَ لكل منهن الاحترامَ والواجباتِ التي تُرغِمُنا الطبيعة على تقديمها . ومهما يكن من أمر ، فإنني لا أستطيع أن أمنعَ قلبي عن كل ما أرى من أشياءَ جميلة ؛ أما اذا طلبَ قلبي وجـــهٌ جميلٌ ، فانه لو كان عندي عشرةُ آلافِ قلبٍ لأعطيتُه إياها جميعاً . وبعد ، فإن الميولَ الوليدةَ لها سِحرٌ يقصُرُ دونه الوصفُ ، وما لذةُ الهوى إلا في التنقّل . وان الانسانَ ليَشعر بعذوبة متناهية حـــين يُخضِعُ قلبَ فاتنةٍ صغيرةٍ بمئاتِ العباراتِ الدالّة على الحب والوفـاء ، وحين يَرى التطوراتِ المختلفةَ التي يُحرزها يوماً بعد يوم ، وحين يُكافحُ ، مستعيناً بالعواطف الجيّاشة والدموعِ والتنهداتِ ، الحياءَ البريءَ لنفسٍ يُشقيها أن تُلقي سِلاحَها ، وحـــين يتغلبُ رويداً رويداً على كل المقاوماتِ الصغيرة التي تعترضُ سبيلَه ، وحين يَقضي



دون جوان : — وليس ثمة أعذب من الانتصار على مقاومة امرأة حسناء .

على وساوسِ ضميرِها التي تُفاخِرُ به ، ويقودُها بلطفٍ ورقةٍ الى حيث يريدُ أن تذهب ولكن ، عندما يستولي عليها ، ويصبحُ سيدَ الموقف ، لا يعودُ هناك من شيء يَنقصه أو يتمناه ، فقد انتهى جمالُ العاطفةِ كلّه ، فنركن حينئذ الى طمأنينةِ مثل هذا الحب ، هذا اذا لم يظهرْ حبٌ جديد يوقظ رغباتِنا ، ويُقَدّمُ لقلبنا سحراً أخاذاً يُرغمنا على أن نسعى لغزوهِ . وأخيراً فليس ثمة أعذبَ من الانتصار على مقاومةِ امرأةٍ حسناء ، ولي في هذا الموضوع طموح الغُزاةِ الفاتحين الذين يَطيرون باستمرار من نصر الى نصر ، ولا يَستطيعون أن يَبتّوا في تحديدِ مدى رغباتهم . ما من شيء يستطيع أن يوقِفَ حِدّةَ رغباتي: انني أشعر في قرارة نفسي أن لي قلباً يستطيع أن يُحِبَّ العالم بأسره ؛ ولكم أتمنى كالاسكندر ، أن تكونَ هناك عوالمُ أخرى لأستطيعَ أن أجتاحها بغزواتي الغرامية .

سغاناريل : — يا لَعمري ، ما أعظمَ فصاحتَك ! يخيّلُ اليّ انك حفظتَ هذا عن ظهرِ قلب ، وانكَ تتكلمُ كما لو كنتَ تقرأ في كتاب .

دون جوان : — وماذا لديك أن تقوله في هذا الموضوع ؟

سغاناريل : — قسَماً ! أريدُ أن أقول ... لا أعرفُ مـاذا أقول ؛ ذالك لأنكَ تقلبُ الأمورَ على نحوٍ يبدو لي فيه أنـكَ على صواب ؛ ومع ذلك فالحقُّ انك لستَ على صواب. كانت لديَّ أجملُ أفكارٍ في العالم ، ثم شوّشَ كلامُك كلَّ شيءٍ في ذهني . دَعْنا من هذا الآن : ففي مرةٍ قادمةٍ سأدوّنُ براهيني كي أناقشَك فيها .

دون جوان : — حسناً تفعل .

سغاناريل : — ولكن يا سيدي بالإذنِ منك : إسمحْ لي أن أقولَ لك إنني أشعرُ ببعضِ الخجلِ من الحياةِ التي تحياها .

دون جوان : — كيف ! وما هي الحياةُ التي أحياها ؟

سغاناريل : — حياةٌ جميلةٌ جداً . ولكن أن أراكَ مثـلاً تتزوجُ في كلِّ شهرٍ كما تفعل ...

دون جوان : — وهل هناك شيءٌ أعذبُ من هذا ؟

سغاناريل : — هـذا صحيح ، وإنني أسلّمُ بأن ذلك عذبٌ جداً ومُسلٍّ للغاية ، وإنني قد أستطيبُ أن أفعلَ الشيءَ نفسَه لو لم يكنْ هناك شرٌّ في ذلك؛ ولكن يا سيدي، أن تستهترَ هكذا بسرٍّ من الأسرار المقدسة ، و ...

دون جوان : — دَعْكَ من هذا ، إنها قضيةٌ بيني وبين السماء ، وسوف نسوّيها معاً من غيرِ أن تُتعِبَ نفسَكَ .

سغاناريل : — والله يا سيدي ! لقد سمعتُهم دائماً يقولون إنه من أقبح الأشياءِ أن يَسخرَ المرءُ بالسماء ، وإن للمُلحدين نهايةً سيئة .

دون جوان : — ويحك أيها الأحمق ! أنتَ تعلم ما قلتُه لك من أنني لا أحبُّ الذين يُسْدون النصائح .

سغاناريل : — أنا لا أتحدثُ اليك، وَليحفظني اللهُ من أن أفعلَ ذلك! انك تعرف ماذا تفعل ، واذا كنتَ لا تُؤمن بشيء ، فان لك مبرراتِك ، ولكن هناك بعضُ صغار الحمقى في العالم يُلحدون دون أن يعرفوا لذلك سبباً ، ويتخذون سِمةَ الزنادقة[1] اعتقاداً منهم أن ذلك يُلائمهم ؛ ولو كان لي سيدٌ من هذا النوع لقلت له بمنتهى الصراحة ، وأنا أحدّق في وجهه : « أتجرؤ فتهاجمُ السماءَ[2] على هذا النحو دون أن ترتعدَ فرائصُك حين تَسخر هكذا بأقدسِ المقدسات ؟ هل يليقُ بك يا دودةَ الأرض الحقيرة ، ويا أيها القزمُ الصغير[3] ، (عفواً انني أخاطبُ السيدَ الذي تكلمتُ عنه) ،

1) Les esprits forts. 2) Jouer au Ciel 3) Petit mirmidon.

هل يليقُ بك أن تَحشُرَ نفسَك وتسخرَ من أشياءٍ يُقدّسها جميعُ الناس ؟ هـــل تظن أنه كي تُصبح شخصية مرموقة ، وتضعَ على رأسِكَ شعراً مستعاراً أشقرَ مكوياً ، وريشاً في قبعتك ، وترتدي رداءً مذهباً وتضعَ أشرطة متوهجةً كالنار (انني لا أكلمك طبعاً بل أكلم السيدَ الآخر) أقول، هل تظن أنك تُصبح إنساناً أكثرَ فهماً[1] ، وان كل شيء يصبح مباحاً لك ، وانه لن يجرؤَ أحدٌ على مجابهتك بالحقيقة ؟ تعلّم مني، أنا خادمِك إن السماءَ تُعاقبُ الكفّار إن عاجلاً أو آجلاً ، وان حياةً سيئة تُفضي الى ميتةٍ سيئة ، وان ...

دون جوان : — صَهْ !

سغاناريل : — ماذا في الأمر ؟

دون جوان : — في الأمر ان امرأة جميلة قد سيطرتْ على قلبي ، وأن سِحْرَ مفاتنها[2] هو الذي أغراني بالرحيل وراءها الى هذه المدينة .

سغاناريل : — ولكن ألا تخشى شيئاً هنا يا سيدي من موتِ هــذا الكومندور الذي قتلتَه منذ ستةِ أشهر ؟

---

1) Plus habile. 2) Ses appas

دون جوان : — وفيمَ الخوف ؟ ألمْ أقتله كما يجب[1] ؟

سغاناريل : — حَسَبَ الأصول ، بل كأحسنِ ما يكونُ القتل ، ولعله يخطىءُ اذا هو اشتكى من ذلك .

دون جوان : — لقد بُرِّئْتُ في هذه القضية .

سغاناريل : — نعم ، ولكن ربما لا تطفىءُ هذه البراءةُ حقدَ الأقرباءِ والأصدقاء ، و ...

دون جوان : — آه ! لا تدعنا نفكرُ في شرٍّ قد يُصيبُنا ، ولنفكرْ فقط في الأشياء التي يمكن أن تجلب لنا المتعة والسرور. إن المرأةَ التي أحدثك عنها هي فتاةٌ مخطوبة ، من أجملِ فتياتِ العالم ، قادَها الى هنا خطيبُها نفسُه ؛ وقد شاءتِ الصدفةُ أن أرى هذَين العاشقَين منذ ثلاثة أو أربعةِ أيام ، ولم أرَ أبداً شخصَين مثلَهما يتبادلان الإمتاع والمؤانسة ، أو يُظهران من الحب أكثر منهما . إن الرقّةَ البادية على عاطفتِهما المُتبادَلة قد أثارتْ في نفسي المشاعر ومسّتْ شغاف قلبي ، فبدأ حبي بالغيرة. أجل ، لم أستطعْ أن أتحمّلَ رؤيتَهما معاً أولَ الأمر ، إذ أن الغيظَ قد أشعلَ الرغبةَ في نفسي ، وتصوّرتُ

---

١) كما تقضي به أصول المبارزة .

أني واجدٌ لذةً قصوى في إقلاقِ تفاهمِهما[1] ، وفصمِ عُرى اتصالِهما هذا الذي أهانَ كبرياءَ قلبي في صميمه، ولكن جُهودي كلها ذهبتْ أدراجَ الرياحِ حتى الآن ، وها إني ألجأ الى آخر علاج : إن هذا العريس الموعود[2] ينوي اليومَ أن يُدْخِلَ البهجةَ في نفسِ فتاته[3] بنزهة في البحر . ولقد أعْدَدْتُ كلَّ شيءٍ لإرضاءِ نزَواتِ حبي دون أن أُطلِعَكَ على شيء ، فاستأجرتُ قارباً صغيراً ورجالاً أستطيعُ بواسطتِهم بكلِّ سهولةٍ أن أخطفَ الحسناء .

سغاناريل : أه يا سيدي !

دون جوان : — ماذا ؟

سغاناريل : — لقد أحسنتَ صنعاً ، فأنت تأخذُ الأمورَ كما يجب . وليس في هذه الدنيا شيء يُساوي امتاعَ النفس .

دون جوان : — استعدَّ ، اذن ، للمجيء معي ، واهتمَّ بإحضار كلِّ أسلحتي بنفسك حتى ... (يلمح دونا الفير) آه ! يا له من لقاء مُكدِّر ! لم تقل لي ، أيها الخائنُ ، إنها هنا بنفسها .

سغاناريل : — انك لم تطلب مني ذلك يا سيدي .

دون جوان : — هل هي مجنونة حتى لا تغيِّرَ ملابسَها[4] ، وتأتي الى هنا مرتدية ثيابَ الحقل .

1) Troubler leur intelligence.
2) Cet époux prétendu
3) Régaler sa maîtresse.
4) Équipage.

المشهد الثالث

دونا الفير - دون جوان - سغاناريل

دونا الفير : — هل لك يا دون جوان أن تتكرمَ فتتعرّفَ عليّ ؟ وهل أستطيع أن آمل على الأقل أن تتنازلَ وتُحوّلَ وجهَك نحوي ؟

دون جوان : — أعترف لك يا سيدتي بانني مُندهش ، وبأنني لم أكن أنتظركِ هنا .

دونا الفير : — نعم ، أرى جيداً انك لم تكن تتوقعُ مجيئي الى هنا ، وانك مندهشٌ في الحقيقة ، ولكنني كنت أرجو غيرَ ذلك . ثم ان الطريقة َالتي تُظهر بها دهشتَك تقنعني تماماً بما رفضتُ أن أصدقه من قبلَ . كنتُ أعجب من سذاجتي وضَعفِ قلبي حين كان يَشك في خيانةٍ تؤيدُها مظاهرُ كثيرة . لقد كنتُ طيبةَ القلب الى أبعد حدّ وإني لأعترف بذلك ، بل اني كنت حمقاء حين أردتُ أن أخدعَ نفسي وأسعى لتكذيبِ عينيّ

ورأيي فيك. ولقد بحثتُ عن أسبابٍ أبرر بها لماطفقي ما لاقت فيك من فتور في المحبة[1] كنت ألمسُه عندك؛ ولقد اختلقتُ عن قصدٍ مائةَ عذرٍ شرعي أفسّر بها رحيلك المفاجىء السريع ، وجرمَك الذي يَتهمك به عقلي . عبثاً كانت شكوكي العادلةُ تساورني كل يوم ، فقد كنت أرفضُ الاستماعَ الى الصوت الذي يجعلُ منك مجرماً في نظري ، وكنت أصغي بسرور الى آلاف الأوهامِ السخيفة التي كانت تصوّركَ بريئاً في قلبي . غيرَ أن هذه الطريقةَ التي استقبلتَني بها لم تعُدْ تسمحُ لي بالشك ، فالنظرةُ التي استقبلتَني أعلمتني عن كثيرٍ من الأشياءِ التي لم أكن لاريدَ أن أعرفها . ومع ذلك ، فإنه يسرُّني جداً أن أسمعَ من فمك أسبابَ رحيلك.. تكلم يا دون جوان ، أرجوك، ولنرَ بأية لهجة تستطيع أن تبرّرَ نفسَك .

دون جوان : — اليك يا سيدتي ، سغاناريل . فهو يعرف لماذا رحلتُ .

سغاناريل : — أنا ، يا سيدي ؟ انني لا أعرفُ شيئاً ، أرجوك .

دونا الفير : — حسناً يا سغاناريل ! تكلمْ ، لا يهمني من أي فمٍ أسمعُ تلك الأسباب .

---

1) Le relâchement d'amitié.

دون جوان : — (مشيراً الى سغاناريل بالاقتراب) هيا ، حدّثِ السيدة.

سغاناريل : — ماذا تريد ان أقول ؟

دونا الفير : — اقترب ، ما دام يريدُ ذلك ، وحدثني قليلاً عن أسباب هذا الرحيلِ المفاجىء .

دون جوان : — ألا تُجيب ؟

سغاناريل : — ليس عندي ما أقولُه . إنك تسخرُ من خادمِك .

دون جوان : — أقولُ لك : ألا تُريد أن تجيب ؟

سغاناريل : — سيدتي ...

دونا ألفير : - ماذا ؟

سغاناريل : — (يلتفت نحو سيده) سيدي ...

دون جوان : — (مهدداً) إذا لم ...

سغاناريل : — سيدتي ، ان الفاتحينَ والاسكندرَ والعوالمَ الأخرى هي سببُ رحيلنا . هذا يا سيدي هو كلُّ ما أستطيعُ أن أقولَه .

دونا ألفير : — هل تريدُ يا دون جوان أن تشرحَ لنا هذهِ الألغازِ الجميلة ؟

دون جوان : — الحقيقةُ يا سيدتي ...

دونا ألفير : — آه ! لَكَمْ تسيءُ الدّفاعَ عن نفسِكَ كرجلٍ من رجالِ البلاطِ جديرٌ به أن يكونَ مُعتاداً على مثلِ هذه الأمور ! إنني أرثي لحالِكَ حينما أراك في مثلِ هذا الإرتباك[1]. لِمَ لا تسلّحُ جبينَك بجرأةٍ نبيلة ؟ لِمَ لا تُقسمُ لي بأنك ما زلتَ عند شعورِكَ نحوي، وانك لا زلتَ تحبُّني بحرارةٍ لا مثيلَ لها ، وان ما من شيء يستطيعُ أن يفصلَكَ عني غيرُ الموت ؟ لِمَ لا تقولُ لي إن أعمالاً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية[2] قد أجبرتْكَ على الرحيلِ دونَ ان تنبئَني بذلك ، وانّ عليكَ ان تبقى هنا رُغماً عنك بعضَ الوقت، وانه ليس عليّ إلاّ ان أعودَ من حيث أتيتُ واثقــة من أنك سوف تلحقُ بي في أقربِ فرصةٍ ممكنة ، وانه من المؤكدِ أنك تتحرّقُ شوقاً للحاقِ بي ، وانك تتألمُ لبُعدِك عني كما يتألمُ الجسدُ عندما تفارقه الروح ؟ هكذا يجب أن تدافعَ عن نفسِكَ ، لا أن تقفَ أمامي مَذْهولاً حائراً[3] .

دون جوان : — أعترفُ لك يا سيدتي بانني لا أملكُ موهبةَ إخفاءِ عواطفي ، وبانني أحملُ قلباً صادقاً . لن أقولَ لكِ إنني مــا زلتُ عندَ مشاعري بالنسبةِ لك ، وإنني

---

1) Confusion. 2) De la dernière conséquence. 3) Interdit.

أتحرّقُ شوقاً للحاقِ بكِ ، فمما لا شكّ فيه أنني رحلتُ هرباً منك ، لا للأسبابِ التي قد تتصوّرينها ، بل كان ذلك بدافعٍ من ضميري ، فـأنا أعتقدُ أنني لا أستطيعُ ان أعيشَ معكِ مَزيداً من الوقتِ دونَ ان أرتكبَ خطيئة . ولقد خالجتني الوساوس[1] يا سيدتي، وفتحتُ عينيّ على ما قمتُ به ، وفكرتُ أنني ، لِكي أتزوجَك ، اختطفتُكِ من أحد الأديرة ، وانك تحللت من النذورِ التي كانت تربطُك بمكانٍ آخر ، وان السماءَ غيورةٌ جداً من مثلِ هذه الأمور . فتملّكني الندمُ وخفتُ من غضبِ السماء، ورأيتُ أن زواجَنا لم يكن إلاّ نوعاً من الزنى المستتر ، وأنه سيجرُّ علينا الشقاء[2] من السماء ، وأن عليّ أخيراً أن أحاولَ نسيانَـك ، فأتيحَ لكِ بذلك أن تعودي الى قيودِك الأولى . فهل تريدين يا سيدتي أن تعارضي مثلَ هذا القرار المقدّس ، إذ أنني اذا مـا احتفظتُ بكِ فسأبوءُ بنقمةِ السماء ، وانني . . .

دونا الفير : — آه أيها النذل ! لقد عرفتُكَ الآن حقّ المعرفة، ولسوء

---

1) Il m'est venu des scrupules. 2) Disgrâce.

حظي أني عرفتُكَ بعدَ فواتِ الأوان . ان مثلَ هذه المعرفةِ لن تحملَ إليّ من فـائدةٍ إلاّ اليأس . ولكنْ إعلمْ أن جريمتَكَ لن تظلّ بلا عِقاب ، وان السماءَ نفسَها التي تهزأ بها ستعرفُ كيف تنتقم لي من غدرك.

دون جوان : — سغاناريل ، السماء !

سغاناريل : — آه صحيح ، اننا نهزأ بها كثيراً ، نحن الآخرين .

دون جوان : — سيدتي ...

دونا ألفير : — كفى . لا أريدُ أن أسمعَ أكثرَ من هذا ، بـل انني ألومُ نفسي لأنني سمعتُ أكثرَ مما ينبغي . انه لمن الجبن أن يتوسّعَ المرءُ في شرحِ خِزْيه . وفي مثلِ هذه المواضيعِ على القلبِ النبيلِ أن يحدّدَ موقفَه منذُ سُماعِه الكلمة الأولى . لا تنتظرْ مني هنا أن أنفجرَ لوماً وشتائم . لا ، لا ، ليس بيَ من غضبٍ أظهره بكلماتٍ جوفاء ، واني لأدّخرُ كلّ حِدّةٍ غضبي للإنتقام . انني أكرّرُ عليكَ مرةً أخرى : سَوْفَ تعاقبُكَ السماءُ أيها الخائن على اهانتي . واذا لم يكن في السماءِ ما تخشاه، فاخشَ على الأقل غضبَ امرأة مهانة.

(تخرج)

سغاناريل : — (على حدة) لو ان ضميرَه يؤنبُه !

دون جوان : — (بعد قليل من التفكير) هيا بنا نفكرُ في تنفيذِ مشروعِنا الغرامي .

سغاناريل : — (لوحده) يا له من سيدٍ فظيعٍ أراني مُكرَهاً على خِدْمَتِه !



الفصلُ الثاني

المشهَدُ الأول [1]

شارلوت — بييرو

شارلوت : — الحمد لله يا بييرو انك كنت هناك في الوقت المناسب[2].

بييرو : — قسماً بالله لو لم أكن هناك ، لكان بينها وبين الغرقِ شعرةٌ واحدة .

شارلوت : — إذن فقـــد كانت عاصفة الصباح هي التي قلبتْها في البحر ؟

بييرو : — أنظري يا شارلوت ، سأروي لك بالضبط[3] كيف حدثَ ذلك ، لأنني كما قال ذلك الرجل ، كنت أولَ من لمَحَها ، فأنا أول من لمَحَها[4] إذن . كنا أنا ولوقا

---

١) تدور حوادث الفصل الثاني في الريف على شاطىء البحر غير بعيد عن المدينة .
2) Bien à point.	3) Tout fin drait.
٤) لاحظ هذه اللهجة القروية .

السمين على شاطىء البحر ، وكنا نتلهى باللعب بتراب الأرض الذي كنا نلقيه على رأسنا ، ذلك بأن لوقا السمين يحب اللعب كما تعلمين ، وانا أيضاً أحب اللعب. وبينما كنا نلعب ، رأيتُ من بعيد شيئاً يتحرك في الماء ويتقدمُ نحونا وهو يهتز. كنت أرى ذلك بوضوح، وفجأة رأيتُ انني لم أعد أرى شيئاً. فقلت : إيه ! لوقا ، أظن ان هناك أناساً يسبحون — فقال لي : ألأنتَ ترى ؟ لا ريبَ أنك كنتَ في جنازة قطة لأن نظرك قد أصابه الرمد — فقلت له : احتشم يا ولد، نظري لم يُصِبه الرمد. إني أرى رجلين. — فقال لي : لا رجالَ هناك . ان نظركَ ضعيف . فقلت له : هل تراهن على أن نظري ليس ضعيفاً ، وان هذين رجلان يسبحان باتجاهنا ؟ قال : يا للعنة ! أراهن ، إن هذا غير صحيح . فقلت له : أوه يا للشيطان ! أتراهن على ذلك بعشر صلدات فقال لي : أراهن ، ولكي أبرهنَ لك على صحة ما اقول اليكَ فلوس الرهان . وأنا لم أكن مجنوناً أو طائشاً قط ، فوضعتُ على الأرض مبلغاً مماثلاً ببسالة ، تماماً كما لو كنتُ جرعتُ كأساً من الخمر لأنني رجل مغامرٌ ومتهوّر . ومع ذلك فقد كنتُ أعلمُ جيداً ما أنا فاعل . وأخيراً ما أن تراهنّا حتى رأيتُ الرجلين كليهما وهما يلوّحان

لنا كي نهرعَ لإنقاذِهما . فما كان مني إلا أن سحبتُ فلوس الرهان وقلت : هيا بنا يا لوقا ! أنت ترى جيداً انهما ينادياننا .. هيا بنا لنجدتهما بسرعة . فقال لي : كلا لن أذهب ، فقد جعلاني أخسرُ الرهان . قلت : أوه ! سنبحث ذلك فيما بعد ... ورحت املأه نصحاً وأحثه على المُضيّ حتى أقنعته وأخذنا قارباً ، ومن ثم بذلنا كثيراً من الجهود حتى استطعنا انقاذَهما ثم حملناهما الى بيتنا ووضعناهما قريباً من النار ، ثم خلعا ملابسهما لكي يُجففا جسميهما . وبعد ذلك جاء اثنان آخران من جماعتهما كانا قد انقذا نفسيهما من الغرق . ثم وصلت « ماتورين » الى هناك ، وكان بين الجماعة واحدٌ منهم جعل ينظرُ اليها ويغمزها بعينيه[1] في حنان .. هذا كل ما حدث تماماً يا شارلوت .

شارلوت : — ألم تقلْ لي يا بيرو أن شكلَ أحدِهم كان ألطفَ من الآخَرين ؟

بيرو : — نعم ، إنه سيدُهم . لا بد أنه سيدٌ عظيم ، عظيم ، لأن ملابسَه مُطرّزة بالذهب من رأسِه الى قدمَيْه . والذين يَقومون بخدمتِه هم سادة أيضاً . ومع ذلك فقد كان السيد ، رغمَ عظمتِه ، سيغرقُ والله ، لو لم نكن هناك .

---

1) Faire les doux yeux.

شارلوت : — تمهّلْ قليلاً .

بيرو : — والله لولانا لكانَ الآن في العالمِ الآخر[1].

شارلوت : — أما يزالُ الرجلُ عارياً في بيتك ؟

بيرو : — كلا ، فقد ألبسوه ثيابَه أمامنا جميعاً انني لم أرَ قطُّ رجلاً يرتدي ثيابه على هذا النحو. كم من أشياء وأدوات مُعقّدة[2] يُزَرِّرُهـا هؤلاء السادة أهل البلاط ! إنني لأضيعُ داخلَ ثيابهم ، ولقد كنتُ مذهولاً جداً من رؤيةِ هذا . وإن لهم أيضاً يا شارلوت شَعراً لا يقفُ على رؤوسِهم ، وهم يضعون هذا الشعرَ بعد أن يرتدوا ثيابَهم كأنه قبعةٌ كبيرةٌ من القش ، وإن لهم قمصاناً ذات أكمامٍ واسعةٍ حتى لَنستطيعُ أن ندخُلَ فيهـا بكاملِنا[3] أنا وأنت . وهم يَلبَسون ، بدلَ السراويل ، « مريلة » عريضةً ، عريضةً جداً . هذا بالإضافةِ الى القميص والصّداري الصغيرة التي لا تصل الى خصرهم[4]، وبالإضافة الى ذلك الأقمشة المزركشة المتدلية على صدورهم ، ومنديل الرقبة الكبير ذي الخطوط مع أربع شرّابات

---

1) Maine de fèves.
2) Angigorniaux.
3) Tout Brandis.
4) Bréchet.

كبيرةٍ من القماشِ تتدلى على صُدورِهم . ولهم أيضاً أنسجةٌ صغيرةٌ على أطراف أذرُعهم وأقمشة وشرائط مخرّمةٌ كبيرةٌ يربطونها على سيقانِهم ، وبين ذلك كله أشرطةٌ كثيرةٌ ، كثيرةٌ جداً حتى لَيُقالُ سَلّة . حتى الأحذيةُ التي يلبَسونها كلها شرائطُ بعضها فوقَ بعضٍ ، وهي مصنوعةٌ بشكلٍ يحملُني على أن أقطعَ عُنُقي معه .

شارلوت : — والله يا پييرو ، يجبُ أن أذهبَ لأشاهدَ هذا قليلاً .

پييرو : — ولكن تمهّلي قبلَ ذلك يا شارلوت ، فإن لي شيئاً آخر أقوله لك .

شارلوت : — حسناً ! قل ما هو ؟

پييرو : — أنظري يا شارلوت ، يجبُ ، كما قال الآخر ، أن أفتحَ لكِ قلبي[1] . إنني أحبُّك ، وأنتِ تعرفين ذلك جيداً ، ونحنُ خُلِقنا ليتزوّجَ أحَدُنا الآخر ، ولكنني والله لستُ راضياً عنك .

شارلوت : — كيف ؟ ماذا هناك إذن ؟

پييرو : — بصراحة ، إن هناك ما يؤلمُ خاطري .

---

1) Que je débonde mon cœur.

شارلوت : — وما ذلك ؟

پيرو : — أقسمُ بالله ، إنكِ لا تحبينني .

شارلوت : — أه ! أه ! أليس من شيء آخر ؟

پيرو : — نعم ، ليس إلا هذا ، وهو كافٍ .

شارلوت : — يا إلهي ! أنت تأتيني دائماً يا پيرو لتقول لي هذا الشيء نفسه .

پيرو : — أقول لك دائماً الشيء نفسَه لأن هناك دائماً الشيء نفسه ، واذا لم يكن هناك الشيء نفسه لما قلت لك دائماً الشيء نفسه .

شارلوت : — ولكن ماذا ينقصك ؟ وماذا تريد ؟

پيرو : — والله ، أريد ان تحبيني .

شارلوت : — ألا أحبك أنا ؟

پيرو : — كلا ، أنتِ لا تحبينني ، ومع ذلك فأنا أبذل كلّ ما أستطيع من أجل أن تحبيني : انني أشتري لك ، دون منّة ، شرائط من كل الباعة الذين يمرون من هنا ، وأقطع رقبتي كي أحصل لك على العصافير من أعشاشها؛ وأغني لك الأغنيات يوم عيدك . كل هذا دون فائدة ،

كما لو كنت أنطح رأسي بجدار . أترين ، ليس من الجمال والنبل في شيء ألا نحب الناس الذين يحبوننا .

شارلوت : — ولكن يا إلهي انني أحبك كذلك .

بييرو : — نعم أنت تحبينني ، ولكن على طريقتك[1] .

شارلوت : — وكيف تريدني إذن ان أفعل ؟

بييرو : - أريدك ان تفعلي كما يفعل الناس حين يحبون كما يجب .

شارلوت : — ألم أحببك أيضاً كما يجب ؟

بييرو : — كلا ، عندما يكون هناك حب فإنه يبدو واضحاً ، وان ألف حركة تبدر من المرء حين يحب من كل قلبه . أنظري الى توماس البدينة كيف غرقت في حب الشاب روبين : فهي تحوم حوله دائماً الى حدّ الازعاج ، ولا تتركه أبداً في راحة. وهي تدبّر له دائماً بعض المقالب وتكيل له بعض الضربات[2] في طريقها . ومنذ يومين ، بينما كان جالساً على مقعد ، سحبته من تحته فوقع بطوله[3] على الأرض . لعمري ! هكذا يفعل الناس المتحابون ؛ أما انت فلا تتفوهين أبداً بكلمة ، وكل ما هناك انك تظلين دائماً واقفة أمامي كقطعة حطب

---

1) D'une belle dégaine. 2) Taloche. 3) Tout de son long.

حقيقية[1] . واني قـد أمرّ أمامك عشرين مرة فلا تتحركين[2] لتصفعيني ولو مرة واحدة أو تقولي لي أية كلمة . أعوذ بالله ! ليس هـذا جميلاً ، انك لشديدة البرودة بالنسبة الى الآخرين .

شارلوت : — ماذا تريدني ان أفعل ؟ هذا هو مزاجي ولا أستطيع ان أغيّره .

بيرو : — ليس هناك مزاجٌ ما . فحين يحمل المرء المودة للناس فلا بد أن يظهر منه دائماً شيء يسير من التعبير عنها .

شارلوت : — على كل حال أنا أحبك على قدر ما أستطيع ، واذا لم تكن مسروراً فما عليك إلا أن تحب فتاة أخرى .

بيرو : — حسناً ! هـذا لم يكن في حسابي . لعمري لو كنتِ تحبينني حقاً ، أكنت تقولين لي ذلك ؟

شارلوت : — لماذا تأتي كذلك لتشوش لي فكري[3] ؟

بيرو : — يا للشيطان ! أي سوءٍ سببته لك ؟ أنا لا أطلب منك سوى قليل من المودة والحب .

---

1) Une vraie souche de bois. 2) Tu ne te grouillerais pas.
3) Tarabuster l'esprit.

شارلوت : — حسناً ! دعني أتصرف ايضاً ، ولا تلحّ عليّ كثيراً . ربما يأتي الحب فجأة دون أن نفكر فيه .

بيرو : — اتفقنا .. ضعي يدك في يدي .

شارلوت : — حسناً ! اتفقنا .

بيرو : — عديني إذن انك ستعملين على ان تحبيني أكثر فأكثر .

شارلوت : — سأعمل كل ما في وسعي ، ولكن يجب أن يحدث ذلك من تلقاء نفسه . بيرو ... أهذا هو السيد ؟

بيرو : — نعم ، ها هوذا .

شارلوت : — آه يا ربي ، كم هو لطيف ، وكم ستكون الخسارة فادحة لو انه غرق !

بيرو : — سأعود حالاً ، فأنا ذاهب لأشرب كأساً استرجع بها قواي[1] نظراً للتعب الشديد الذي أشعر به .

---

1) Pour me rebouter.

المشهد الثاني

دون جوان   سغاناريل – شارلوت (في زاوية المسرح)

دون جوان : – لقد فشلتْ خطتُنا يا سغاناريل ، وقلبتْ هذه العاصفة غيرُ المنتظرة مع قاربنا الخطةَ التي أعددْناها ، ولكن والحقُّ يُقالُ فإن هذه القروية[1] التي تركتُها الآن قد خففتْ من وقعِ هذه الكارثة ، ووجدتُ فيها من السحرِ ما يمحو من ذهني كلَّ الألمِ الذي سبَّبَه لي إخفاقُ مشروعِنا . يجبُ ألاّ يفلتَ مني هذا القلب ، ولقد أعددتُ كلَّ شيءٍ بحيث لا أتعذبُ كثيراً في تصعيدِ التنهُّدات والزفَرات .

سغاناريل : – أعترفُ يا سيدي بانك تدهشني . لقد نجَوْنا بالكادِ من خطرِ الموت، وبدلاً من أن تشكرَ السماءَ على ما شملتنا به من عطفٍ وشفقة ، أراكَ تعملُ من جديد على استنزالِ غضبها ، بنزواتِك المعهودة وحبِّك الأذ[2] . . .

---

١) ماتورين التي مر ذكرها في المشهد الرابع .   ٢) يريد أن يقول : الأثم .

(يرى دون جوان ينظر إليه مهدّداً فيخاطب نفسه)

صِه أيّها الوغد ! إنك لا تعرفُ ما تقول ، وسيدُكَ يعرفُ ما يفعل . هيا .

دون جوان : — (يلمح شارلوت) آه ! آه ! من أين برزتْ هذه القرويّة الأخرى يا سغاناريل ؟ هل رأيتَ أجمل منها ؟ قل لي ، ألا ترى أن هذه الحسناء لا تقلُّ قيمةً عن الأخرى ؟

سغاناريل : — بكلّ تأكيد .
(لنفسه) صَيْدٌ جديد[1] .

دون جوان : — (يخاطب شارلوت) من أين لي ، أيتها الحسناء ، هذه المقابلة السارّة ؟ عجباً ! هل يوجدُ في مثلِ هذه الأماكنِ الريفية ، وبين تلك الأشجارِ والصخور ، مخلوقاتٌ في مثلِ هذا الجمال ؟

شارلوت : — كما ترى يا سيدي .

دون جوان : — هل أنتِ من هذه القرية ؟

شارلوت : — نعم يا سيدي .

دون جوان : — وهل تسكنين فيها ؟

---

1) Autre pièce nouvelle.

شارلوت : — نعم يا سيدي .

دون جوان : — وما اسمك ؟

شارلوت : — خادمتك شارلوت .

دون جوان : — آه ! يا للفتاةِ الجميلة ! ما أشدّ نفاذ عينيها !

شارلوت : — إنك لتخجلني كثيراً يا سيدي .

دون جوان : — آه! لا تخجلي أبداً أن تسمعي من يحدثك عن حقيقتك. ما رأيكَ فيها يا سغاناريل ؟ هل من الممكن أن يرى الإنسانُ أجملَ منها ؟
استديري قليلاً من فضلك . آه ! ما أرشق هذا القوام ! إرفعي رأسَكِ قليلاً أرجوك . آه ! ما ألطفَ هذا الوجه ! إفتحي عينيكِ على وسعِها . آه ! يا لجمالها ! أرجوكِ دعيني أرى أسنانَك قليلاً. يا للإثارة! وهاتان الشفتان الشهيّتان ! أما أنا فمفتونٌ بك ، ولم أرَ أبداً مخلوقةً في مثلِ هذه الفتنة .

شارلوت : — هذا كلامٌ يسرّك أن تقوله يا سيدي، ولكني لا أعرف إن كنتَ تقوله لكي تسخرَ مني .

دون جوان : — أنا أسخرُ منكِ؟ أستغفرُ الله ! إن حبي لكِ أكبر من ذلك ، وإني أحدّثكِ من أعماق قلبي .

شارلوت : — إذا صحّ هذا ، فأنا مَدينة لكَ كثيراً[1] .

دون جوان : — أبداً ، فأنتِ لستِ مَدينة لي بشيءٍ لما أقوله ، فأنتِ لستِ مَدينة إلا لجمالك .

شارلوت : — سيدي ، إن كلّ مـــا قلتَه هو جميلٌ بالنسبةِ إليّ ، ولستُ على قدر كبير من الذكاء يسمح لي بالرد عليك .

دون جوان : — سغاناريل ، أنظرْ قليلاً إلى يَدَيها .

شارلوت : — أف ! إنها سوداوان يا سيدي لا أعرفُ لوناً كلونهما .

دون جوان : — ها . ماذا تقولين ؟ انها أجملُ يَديْن في العالم ؛ اسمحي لي بأن أقبلها ، أرجوك .

شارلوت : — انك توليني كثيراً من الشرف يا سيدي ،ولو كنتُ أعلمُ بذلك قبل الآن لما تأخرتُ في غسلها بالنخالة[2] .

دون جوان : — قولي لي يا شارلوت الجميلة ، لا شكّ في أنكِ لستِ مُتزَوّجة ؟

شارلوت : — كلا يا سيدي ، ولكنني سأتزوجُ قريبــاً من بييرو ابن جارتنا سيمونيت .

---

1) Je vous suis bien obligée. 2) Son.

دون جوان : — ماذا ؟ فتاة مثلك تكون زوجة لقروي بسيط ؟ لا ، لا ، ان في ذلك امتهاناً لكل هذا الجمال ، وأنتِ لم تولدي لتسكني في قرية . فأنت تستحقين ولا شك حظاً أفضل ، وان السماء التي تعرف ذلك جيداً قد قادتني الى هنا خِصّيصاً لأمنعَ هذا الزواجَ وأعطي لسحركِ التقدير الذي يستحق ، لانني أحبك يا شارلوت الجميلة من كلّ قلبي ، ولا يتوقفُ الأمرُ إلاّ عليكِ أنت ، حتى أنتشلك من هذا المكان الحقير ، وأضعك في المكان الذي تستحقّين ان تكوني فيه . لقد كان حبي لكِ سريعاً ، لا شك، ولكن ما العجب في ذلك! إنه تأثير جمالك الباهر يا شارلوت ، وإن المرء ليقعُ في حبك في مدة لا تتجاوز ربع ساعة على حين يحتاج الأمر الى ستة أشهر مع غيرك .

شارلوت : — الحق يا سيدي انني لا أعرف ماذا أفعل عندما تتكلم . ان ما تقوله يسرّني ، وأتمنى من كل قلبي أن أصدقك ؛ ولكنهم طالما قالوا لي إنه لا ينبغي أبداً أن نصدّقَ السادة ، وإنكم معشر النبلاء منافقون ، لا تفكرون الا في اغواء الفتيات .

دون جوان : — أنا لست من هؤلاء .

سغاناريل : — (على حدة) حاشا أن يفعل ذلك[1].

شارلوت : — أنت تعرف يا سيدي أنه ليس جميلاً أن تفرّط الفتاة بعرضها. إنني قروية مسكينة، ولكني أتمسك بالشرف[2] أكثرَ من كلّ شيء، وأفضلُ أن أموتَ على أن أرى نفسي ملطخة بالعار.

دون جوان : — أأنا أملكُ مثلَ هذه النفسِ الخبيثةِ حتى أغررَ بفتاةٍ مثلك؟ أأكون جباناً بحيث ألطخ شرفك بالعار؟ لا، لا. ان ضميري لأكبر من ذلك. أنا أحبك يا شارلوت بكلّ اخلاصٍ وبكلّ شرف؛ ولكي أريكِ صِدّقَ قولي، اعلمي ألاّ هدف لي سوى أن أتزوجَ منك: هل تريدين برهاناً أعظم من هذا؟ ها أنذا مستعدٌ للزواج منك حين تشائين؛ واني لأشهدُ هذا الرجلَ الذي ترَين على الوعد الذي أعطيته لك.

سغاناريل : — لا، لا. لا تخافي أبداً: فسيتزوج منك حين تريدين ذلك.

دون جوان : — آه! أرى جيداً يا شارلوت أنك لم تعرفيني بعد. إنك لَتُسيئين اليّ كثيراً اذ تحكمين عليّ بما تعرفينَهُ عن الآخرين؛ وإذا كان هناك مخادعون في العالم، وأناس لا

1) Il n'a garde. 2) Mais j'ai l'honneur en recommandation.

يبحثون الاّ عن التغرير بالفتيات، فعليكِ أن تخرجيني من زُمرتِهم ، وألاّ تشكتي في صِدقِ كلامي . ثم إن جمالك يطمئنك على كل شيء . فعندما تكون المرأة في مثل فتنتِك، فإن عليها أن تكون بأمن[1] من جميعِ أنواعِ المخاوف ؛ صدّقيني ، إنه لا يبدو عليك أنكِ واحدة ممن يمكنُ إغواؤهن . ومن جهتي ، أعترفُ بأنني أفضل تمزيق قلبي بآلافِ الطعناتِ لو كانت لديّ أدنى نية في أن أغرّر بك

شارلوت : — يا إلهي ! لست أدري إنْ كنت تقولُ الحقيقةَ أم لا ؛ ولكنك تتحدث بشكل يحمل الناس على تصديقك .

دون جوان : — عندما تصدّقينني فإنكِ لا ريبَ ستنصفينني ، وإني لأكرّرُ أيضاً الوعدَ الذي قطعتُه لك . ألا تقبلينَه ؟ ألا تريدين أن تكوني زوجتي ؟

شارلوت : — نعم شريطةَ أن تقبلَ عمتي بذلك .

دون جوان : — ضعي يدك هنا يا شارلوت ، ما دمتِ تريدين ذلك من جِهتِك .

شارلوت : — ولكني أرجوك يا سيدي ألاّ تخدعَني على الأقل : إنها

1) Etre à couvert.

مسألة ضمير بالنسبةِ إليك ، وأنت تعرفُ كيف اني أتصرّفُ عن طيبةِ قلب .

دون جوان : — كيف؟ يبدو عليك أنك لا زلت تشكين في إخلاصي! هل تريدين آن أقسم لك بالأيمان المغلظة؟ لتكن السماء...

شارلوت : — يا إلهي ! لا تقسم ، فأنا أصدقك .

دون جوان : — أعطني إذن قبلةً صغيرة ضماناً[1] لوعدكِ لي .

شارلوت : — أوه ! انتظر يا سيدي ريثما نتزوج ، أرجوك ؛ وبعدها أقبّلك كما تريد .

دون جوان : — حسناً أيتها الجميلة شارلوت ! انني أريد كل ما تريدين ؛ دعي لي يدك فقط ، واسمحي لي بأن أعبر بألف قبلة عن الفرح[2] الذي أشعرُ به ...

---

1) Pour gage. 2) Le ravissement.

المشهد الثالث

دون جوان ـ سغاناريل ـ بيرو ـ شارلوت

بيرو : — (يعترضها ويدفع دون جوان) مهلاً يا سيدي ، تمالكْ نفسَك من فضلك. ان حرارتك لتشتد ، وقد تصاب بالحمّى .

دون جوان : — (يدفع بيرو بخشونة) من أتاني بهذا الوقح ؟

بيرو : — (يضع نفسه من جديد بين دون جوان وشارلوت) قلت لكَ إبتعد ولا تقبّل خطيباتِنا [1] .

دون جوان : — (يستمر في دفعه) آه ! يا للضوضاء !

بيرو : — قسماً بالله ! لا يصح ان تدفع الناس هكذا .

شارلوت : — (تمسك بذراع بيرو) دعه يفعل يا بيرو .

بيرو : — كيف ؟ أأتركه يفعل ؟ أنا لا أريد ذلك .

---

1) Accordées.

دون جوان : — آه !

بيرو : — وحق الشيطان ! ألأنك سيدٌ من الأسياد تجيء الى هنا لتقبّل نساءنا أمـــام أعيننا[1] ؟ هيّا اذهب وداعب نساءَك .

دون جوان : — أيه ؟

بيرو : — أيه (يصفعه دون جوان) يا للشيـــطان ! لا تضربني . (صفعة أخرى) اوه ! يا للشيطان ! (صفعة أخرى) يا الله ! يا الله ! لا يصح ان تضربَ النـــاس هكذا ، وليست هذه مكافأة من انقذوك من الغرق .

شارلوت : — بيرو .. لا تغضب .

بيرو : — لا بد ان أغضب ، وانكِ لسافلة حين تسمحين لأحد بمداعبتك[2] .

شارلوت : — أوه ! الحكاية ليست كما تظن يا بيرو . ان هذا السيد يريد ان يتزوجني ، ولا ينبغي لـــكَ ان تستسلم للغضب[3] .

بيرو : — كيف ؟ لعمري ! انتِ خطيبتي .

1) A notre barbe. 2) Qu'on te cajole. 3) Te bouter en colère.

شارلوت : — لا بأس في ذلك يا بييرو . أفــلا ينبغي ، اذا كنت تحبني ، ان تكون مسروراً لأنني سأصبح سيدة محترمة .

بييرو : — يا للشيطان ! كلا أفضل ان أراكِ تموتين على ان أراكِ مع غيري .

شارلوت : — امضِ ، امض يا بييرو ، لا تحـــزن : اذا أصبحتُ سيدة فسأجعلك تربح بعض الدراهم ، وستحمل الينا الزبدة واللبن .

بييرو : — وحق الإله ! لن أحملَ اليكِ شيئـــاً أبداً حتى ولو دفعتِ لي ضِعفَ ثمنه . أهكذا إذن تصغين الى ما يقوله لك ؟ وربي ! لو كنتُ عرفت ذلك من قبل لما انقذته من الغـــرق ، ولكنت ضربته على رأسه بالمجذاف ضربة قاضية .

دون جوان : — (يقترب من بييرو ليضربه) ماذا تقول ؟

بييرو : — (يبتعد خلف شارلوت) أقسمُ بالله إنني لا أخافُ من أحد .

دون جوان : — (يقترب من الناحية التي وقف فيها بييرو) انتظرني قليلاً .

بييرو : — (ينتقل الى الطرف الآخر من شارلوت) انني أهــزأ بكل شيء .

دون جوان : — (يجري خلف بييرو) لترَ ذلك .

بييرو : — (يهرب ثانية خلف شارلوت) لقـــد رأيتُ الكثير من امثالك .

دون جوان : — هكذا !

سغاناريل : — ايه يا سيدي ! دع هذا المسكين وشأنه . هل يسمح لك ضميرك بضربه ؟ (يضع نفسه بين بييرو ودون جوان) اصغِ الي يا صغيري المسكين ، انسحب من هنا ولا تقل له شيئاً .

دون جوان : — (يرفع يده ليصفع بييرو الذي يخفض رأسه ، فيتلقى سغاناريل الصفعة) آه ! سأعلّمك .

سغاناريل : — (ينظر الى بييرو الذي مـــال برأســـه كي يتجنب الصفعة) فليُصب الطاعون الأنذال[1] !

دون جوان : — (يخاطب سغاناريل) ها قد نلتَ ثمن محبتك وشفقتك عليه .

بييرو : — والله ! سأروي لعمتها كل هذه القصة .

دون جوان : — اخيراً سأصبح أسعدَ الرجـــال ، ولن أبدل سعادتي بكل مسرات العـــالم . أيُّ سرور سأشعر به عندما تصبحين زوجتي ! وأية ...

---

1) Maroufle.

المشهد الرابع

دون جوان – سغاناريل – شارلوت – ماتورين

سغاناريل : – (وقد رأى ماتورين) أه ! أه !

ماتورين : – (لدون جوان) سيدي، ماذا تفعل هنا مع شارلوت ؟ هل تحدثها عن الحب هي أيضاً ؟

دون جوان : – (بصوت منخفض لماتورين) لا، بالعكس، انها هي التي تظهر رغبتها في ان تكون زوجتي، وقد أجبتها بانني مرتبط بك .

شارلوت : – (لدون جوان) ماذا تريد ماتورين منك ؟

دون جوان : – (بصوت منخفض لشارلوت) إنها غَيْرى اذ تراني أحدثك، وهي تريد أن أتزوجَها ؛ ولكنني قلتُ لها انني أريدك أنتِ .

ماتورين : – عجباً ! شارلوت ...

دون جوان : — (بصوت منخفض لماتورين) لن يكون لكلامك أي تأثير ؛ فقد رسّخت ذلك في رأسها .

شارلوت : — كيف ذلك ! ماتورين ..

دون جوان : — (بصوت منخفض لشارلوت) عبثاً تحدثينها؛ انك لن تفلحي في نزع هذا الوهمِ[1] من رأسِها .

ماتورين : — هل ... ؟

دون جوان : — (بصوت منخفض لماتورين) ليس هناك سبيلٌ لإقناعها .

شارلوت : — أود ...

دون جوان : — (بصوت منخفض لشارلوت) انها عنيدة كجميع الشياطين .

ماتورين : — حقاً ...

دون جوان : — (بصوت منخفض لماتورين) لا تقولي لها شيئاً ، انها مجنونة .

شارلوت : — أظن ..

دون جوان : — (بصوت منخفض لشارلوت) دَعيها وشأنَها، انها معتوهه.

ماتورين : — لا ، لا ، يجب ان أكلمَها .

شارلوت : — أريد أن أعرفَ قليلاً مبرراتِها .

---

1) Fantaisie.

ماتورين : — ماذا ؟ ...

دون جوان : — (بصوت منخفض لماتورين) أراهن انهـا ستقول لك انني وعدتها بالزواج .

شارلوت : — أنا ..

دون جوان : — (لشارلوت بصوت منخفض) فلنراهن انها ستقول لك انني وعدتها بان اتخذها زوجة .

ماتورين : — اسمعي يا شارلوت ! ليس من الصواب ان تجري في المزايدة على غيرك[1].

شارلوت : — ليس من النبل أن تغاري اذا حدثني السيد يا ماتورين .

ماتورين : — إنها أنا التي رآها السيد أولاً .

شارلوت : — اذا كان قد رآك أولاً، فانا قد رآني ثانياً ، وقد وعدني بأن يتزوجني .

دون جوان : — (لماتورين بصوت منخفض) حسناً ! ماذا قلتُ لك ؟

ماتورين : — (لشارلوت) أمض ِفي حال ِسبيلك[2]، فأنا التي واعدَها على الزواج لا انت ِ.

---

1) De courir sur le marché des autres.
2) Je vous baise les mains.

دون جوان : — (لشارلوت بصوت منخفض) ألم أخمّن ذلك ؟

شارلوت : — قولي هــذا لغيري[1] ، أرجوك ؛ فأنا التي سيتزوجُها كما أقول لك .

ماتورين : — انك لتهزأين بالناس ؛ أقول لك مرة ثانية انها أنا .

شارلوت : — ها هوذا هنا ، وهو يستطيع أن يقول ذلك إن كنتُ مخطئة .

ماتورين : — ها هو ذا هنا ، وهو يستطيعُ أن يُكذّبَني إن كنتُ لا أقولُ الحقيقة .

شارلوت : — هل وعدتَـها يا سيدي بأن تتزوجها ؟

دون جوان : — (لشارلوت بصوت منخفض) أنتِ تسخرين مني .

ماتورين : — هل صحيح يا سيدي أنك وعدتَها بأن تكونَ زوجها؟

دون جوان : — (لماتورين بصوت منخفض) هل يمكنُ أن تخطرَ لكِ هذه الفكرة ؟

شارلوت : — أنتَ ترى أنها تصرُّ على هذه الفكرة .

دون جوان : — (لشارلوت بصوت منخفض) دعيها وشأنها .

---

1) A d'autres.

ماتورين : — أنتَ تشهدُ كيف تؤكدُ ذلك .

دون جوان : — (لماتورين بصوت منخفض) دعيها تقولُ ما تريد .

شارلوت : — لا . لا . يجبُ أن نعرفَ الحقيقة .

ماتورين : — لا بد من تقريرِ هذا الأمر .

شارلوت : — نعم يا ماتورين ، أريدُ من السيدِ أن يُريكِ غباوتك[1] .

ماتورين : — نعم يا شارلوت ، وأنا أريد من السيد أن يكسر أنفك[2] .

شارلوت : — أرجوك يا سيدي أن تُنهي[3] هذه الخصومة .

ماتورين : — اجعلنا نتفاهمُ يا سيدي .

شارلوت : — (لماتورين) سوف ترين الآن .

ماتورين : — (لشارلوت) سوف ترين أنتِ بنفسِك .

شارلوت : — (لدون جوان) قلْ .

ماتورين : — (لدون جوان) تكلم .

دون جوان : — (متبرماً يقول لهما كلتيهما) مـاذا تريـدان مني أن أقول ؟ كلتاكما تتمسكان بأنني وعدتكما بأن أتزوجَكما . ألا تعرفُ كلٌ منكما من هي المعنية دون ما حاجةٍ إلى أن

---

1) Votre bec jaune.

2) Que Monsieur vous rende un peu camuse. 3) Vider.

أتوسّعَ في الشرح ؟ لماذا تضطرّانني الى إعادةِ أشياءَ قلتُها ؟ ألا تجدُ في نفسِها من الثقة ، تلك التي وعدتُها بالفعل ما يجعلُها تسخرُ من كلامِ الأخرى؟ وهل يجب أن تتكدّرَ لأني لم أنفّذْ بعدُ وعدي ؟ إن الأعمالَ لا تتمُّ أبداً بالأقوال . يجبُ علينا أن نعملَ لا أن نتكلم. فالأعمالُ أجدى من الأقوالِ في تقريرِ الأمور . ولهذا فلستُ أريدكما أن تتفقا إلاّ على هذه النقطة ، وسنرى حين أتزوجُ أيٌّ منكما قد ملكتْ قلبي .

(لماتورين بصوت منخفض) دعيها تعتقدُ بما تشاء .

(لشارلوت بصوت منخفض) أتركيها تعللُ نفسها بالآمال.

(لماتورين بصوت منخفض) إنني أعبدُكِ .

(لشارلوت بصوت منخفض) أنا لكِ كلياً .

(لماتورين بصوت منخفض) كلُّ الوجوهِ قبيحةٌ بالنسبةِ الى وَجْهِكِ .

(لشارلوت بصوت منخفض) لا يمكنُ للإنسان أن يتحمل رؤيةَ الأخريات بعد أن يراكِ .

(بصوت مرتفع) إن عليَّ أن أصدِرَ أمراً بسيطاً ؛ وسأعودُ لأجدَكما هنا بعد ربعِ ساعة .

المشهد الخامس

ماتورين – شارلوت – سغاناريل

شارلوت : – (لماتورين) أنا التي يُحبها على أقل تقدير .

ماتورين : – بل أنا التي سيتزوجها .

سغاناريل : – آه ! يا لكما من فتـــاتين مسكينتين ، أنني أرثي لسذاجتكما ، ولا أستطيعُ ان احتمـــل رؤيتكما تسعيان الى هلاككما . صدّقاني : لا تنخدعا قط بكل القصص التي رواها لكما وابقيا في قريتكما .

المشهد السادس

دون جوان – سغاناريل – شارلوت – ماتورين

دون جوان[1] : — (عائداً) أريد ان أعرفَ لماذا لم يَتْبعني سغاناريل ؟

سغاناريل : — (الى الفتاتين) ان سيدي مخادعٌ غشاش ؛ وليس له من هدف الا ان يعبثَ بكما ، ولقد عبث بأخريات غيرِكن . انه مزواج الجنس البشري ، و ... (يلمح دون جوان) وهذا كذب وبُهتان ، وكل من يقول لكما ذلك فعليكما ان تقولا له انه كاذب . فليس سيدي مزواجَ الجنس البشري ، وليس مخادعاً غشاشاً وليس في نيته ان يعبث بكما ولم يعبث بأية واحدة أخرى قط .. آه ! دونكما ، ها هوذا قد أقبل ، وأولى بكما ان تسألاه هو بنفسه عن ذلك.

دون جوان : — نعم .

---

١) يخاطب نفسه .

سغاناريل :— سيدي ، بما ان العـالم مملوء بالنامين فأنني استبق الحوادث ؛ كنت أقول لهما إن جاءهما أحدٌ واغتابَك ، فعليهـما ان يحترسا من الأسـتماع اليه ، او يعتقدا بمـا يقول ، وألا يتأخرا في اتهامه بالكذب .

دون جوان :— سغاناريل !

سغاناريل : - (الى الفتاتين) نعم ، ان سيدي رجل شريف ، وانا اضمن ذلك .

دون جوان :— هُون .. !

سغاناريل :— ان النميمة من صفات السفهاء .



المشهد السابع

دون جوان — لارامه — شارلوت
ماتورين — سغاناريل

لارامه : — (منتحياً جانباً بدون جوان) سيدي ، جئت أنبهك الى ان هذا المكان لا يلائمك .

دون جوان : — كيف ؟

لارامه : — هناك اثنا عشر فارساً يبحثون عنك ، وسيصلون الى هنا بعد لحظات . لا أعرفُ بأيةِ طريقةٍ استطاعوا أن يقتفوا أثرك. ولكنني علمت بهذا النبأ من فلاح وصفوك له وسألوه عنك . لا بد من الإسراعِ في هذه القضية ، وكلما أسرعتَ في الرحيلِ من هنا كان ذلك أفضل .

دون جوان : — (لشارلوت وماتورين) إن أمراً مستعجلاً يرغمني على الرحيل. ولكنني أرجوكما أن تتذكرا الوعدَ الذي قطعتُه لكما، وأن تثِقا بأن أخباري ستصلُكما قبلَ مساءِ الغد .

(شارلوت وماتورين تبتعدان)

بما أن المعركةَ ليستْ متكافئة ، فيجبُ إذن أن ألجأ الى الحيلةِ بمهارةٍ لأتجنبَ[1] الخطرَ الذي يسعى إليَّ . أريدُ أن يلبَسَ سغاناريل ملابسي ، وأنا ...

سغاناريل : — سيدي ، إنك تمزح . تعرِّضُني للقتلِ في ثيابِك و...

دون جوان : — هيا اسرع . هذا شرفٌ عظيمٌ أوليكَ اياه ، وما أسعد الخادمَ الذي يُتاح له شرفُ الموت في سبيلِ سيده .

سغاناريل : — أشكرُكَ على هذا الشرف . أيتها السماء ، بما أن الأمرَ يتعلق بالموت ، فاحسني اليّ بألا يظنوا أني شخص آخر .



1) Éluder.

الفصل الثالث

المشهد الأول

دون جوان (في ثياب ريفية)

سغاناريل (متنكراً في ثوب طبيب)

سغاناريل : — لعمري ، يا سيدي عليك ان تعترف بأنني كنت على حق ، وها نحن الآن متنكران كأحسن ما يكون[2] التنكر . لم تكن خطتك الأولى، في محلها البتة ، اما هذه الملابس فإنها تخفينا أفضلَ مما كنتَ تريد ان تفعل .

دون جوان : — الحق انك تبدو في مظهر حسن ، ولا أدري من أين نبشت هذا الثوبَ المضحك[3] .

سغاناريل : — نعم ، نعم ؟ أنه ثوب طبيب عجوز وكان قد رُهن عند

---

١) يمثل المسرح غابة بالقرب من البحر والمدينة .

2) A merveille. 3) Cet attirail ridicule.

من أخذتُه منه وقد كلفني الحصولُ عليه كثيراً من المال . ولكن هل تعلم يا سيدي ان هذا الثوب جعلني موضع الأحترام ، حتى ان الناس يحيونني كما التقيتُ بهم ، ويستشيرونني كما يستشيرون رجلاً علامةً[1] .

دون جوان : — وكيف ذلك ؟

سغاناريل : — رآني خمسة او ستة من الفلاحين والفلاحات وانا أمر بهم ، فأتوا اليّ وسألوني عن رأيي في أمراضٍ مختلفة .

دون جوان : — وأجبتَهم بأنك لا تفهم شيئاً عنها .

سغاناريل : — أنا ؟ أبداً . لقد أردتُ ان أحافظ على شرف ثوبي ، فتناقشتُ معهم في أمراضهم ، وأعطيتُ روشتة لكل واحد منهم .

دون جوان : — وأية علاجات وصفتَها لهم ؟

سغاناريل : — والله يا سيدي ! لقد اخترتُهـا كيفما اتفق[2] ، ووصفتُ دواءً لكلّ الحالات ؛ وسيكونُ الأمرُ مُضحِكاً اذا ما شُفي المرضى وعادوا اليّ ليشكروني .

دون جوان : — ولِمَ لا . مـا هو السببُ الذي يجعلُكَ لا تملكُ نفسَ

1) Un habile homme. 2) A l'aventure.

المزايا التي يملكُها جميعُ الأطبّاء ؟ فليسَ لهم نصيبٌ أوفى منك في شفاءِ المرضى ، وكلُّ فنّهم ليسَ سوى خُزَعبَلاتٍ[1] . وهم لا يعملونَ شيئاً إلاّ الحصولَ على مجد النجاحِ السعيد ، وتستطيعُ أن تستفيد، مثلَهم ، من حظ المريض، وأن ترى كيف ينسَبُ الى أدويتك كل ما يمكنُ أن يتأتّى من نتائجِ الصّدْفةِ وقِوى الطبيعة .

سغاناريل : — كيف تكونُ يا سيدي هكذا كافراً بالطب ؟

دون جوان : — إنه من أكبر أخطاءِ الإنسانية .

سغاناريل : — عجباً ! ألا تؤمنُ بالخردلِ[2] ولا بالخِيـارِ الشنبر[3] ولا بالخمرِ المقيء[4] ؟

دون جوان : — ولماذا تريدُني أن أؤمنَ بها ؟

سغاناريل : — إنك لكافرٌ كبير ، ومع ذلك فها أنتَ ترى منذ زمن أن الخمرَ المُقيء قد انتشرَ انتشاراً كبيراً ، وأن معجزاتهِ أعادتْ الى الأيمـانِ أكثرَ الناسِ كُفراً ، ولقد رأيتُ ، أنا الذي يحدّثكَ ، منذُ ثلاثةِ أسابيعَ أثراً عجيباً له .

---

1) Pure grimace. 2) Séné. 3) La casse.
4) Vin émétique.

دون جوان : — وما هذا الأثر ؟

سغاناريل : — كانَ هناك رجلٌ يُعاني سكراتِ الموت منذ ستة أيام ، ولم يكنْ أحدٌ يعرفُ مـاذا يَصفُ له ، ولم ينجحْ في شفـائهِ كلُّ أنواعِ الأدوية ، فخطرَ لهم آخرَ الأمرِ أن يُعطوهُ مُقيئاً .

دون جوان : — ونجا من الموت ، أليس كذلك ؟

سغاناريل : لا ، بل مات .

دون جوان : — ان أثرَ الدواء مدهش .

سغاناريل : — كيف تقول ذلك ؟ لقد عجز خلالَ ستة أيام كاملة ان يموت ، وجعله المقيء يموت في الحال . هل تريد دواء أنجع من هذا ؟

دون جوان : — لقد أصبتَ فعلاً ..

سغاناريل : — ولكن لنترك جانبـاً الطبَّ الذي لا تؤمن به ، ولنتحدث عن أشياء أخرى ذلك بأن هذا الثوب يمنحني الفطنة ، وأشعر ان لي مزاجاً في ان أتناقشَ معك . انك ، كما تعلم ، تسمح لي بالمناقشات ولا تحظر عليّ سوى اسداء النصائح .

دون جوان : — حسناً !

سغاناريل : — أريد ان أطّلع قليلاً على آرائك بشكل عميق . هل من الممكن ألا تؤمنَ ابداً بالسماء ؟

دون جوان : — دعنا من هذا .

سغاناريل : — معنى ذلك انك لا تُؤمن بها . والجحيم ؟

دون جوان : — أيه !

سغاناريل : — نفس الشيء . وبالشيطان ، من فضلِك ؟

دون جوان : — نعم ، نعم .

سغاناريل : — قليلاً ، ألا تؤمن ابداً بالحياة الآخرة ؟

دون جوان : — ها . ها . ها [1] .

سغاناريل : — ها هوذا رجل يَصعب عليّ ان أرده الى الايمان . والراهب الشرس [2] ، قل لي من فضلك ، الا تؤمن به ؟ هيـــه ؟

دون جوان : — ليأخذ الطاعونَ هذا الأبله !

سغاناريل : — آه .. وهـــذا ما لا أطيق احتمالَه ؛ اذ لا شيء اكثرُ صدقاً من قصة الراهب الشرس ، وأنا مستعدٌ أن

---

١) لا يضحك دون جوان إلا من كلمة الحياة الآخرة .

٢) عفريت أو راهب وهمي يزعم السذج انه يركض ليلاً في الشوارع قبيل حلول عيد الميلاد ، فيطلق أصواتاً مفزعة لمضايقة الناس . (المترجم)

أشنق نفسي في سبيل تصديق ذلك . لا بد أن يؤمن الانسان بشيء ما : فبأي شيء تؤمن أنت اذن ؟

دون جوان : — بأي شيء أومن ؟

سغاناريل : — نعم .

دون جوان : — أومن ان اثنين واثنين يساويان أربعة يا سغاناريل ، وان أربعة وأربعة تساوي ثمانية .

سغاناريل : — ما أجمل هذا الايمان ! اذن فدينك ، على ما أرى ، هو الحساب ؟ يجب ان نعترف بان هناك أفكاراً غريبة تكمن في رأس الناس ، وان الناس ، لأنهم درسوا دراسة جيـدة ، يكونون أقلَّ حكمةً في أغلب الاحيان . أما أنا يا سيدي ، فانني ، والحمد لله ، لم أدرس قط مثلك ، وليس هناك انسانٌ يستطيعُ ان يَفخر بأنه علمني أيَّ شيء ؛ ولكني بفهمي الصغير ورأيي المتواضع ، أرى الاشياء أحسنَ مما تراها جميعُ الكتب ، وأفهم جيداً ان هذا العالم الذي نراه ليس فطراً نبت وحدَه في ليلة واحدة . أود لو اسألك من خلق هذه الاشجارَ وتلك الصخور، من خلق الارضَ والسماء التي نراها هناك ، وهل كل هذا قد خلق نفسَه بنفسه ؟ وها انتذا مثلاً ، انك هنـا : هل أوجدتَ

نفسَك بنفسك ، أوَلم يكن ضرورياً أن يكون أبوك قد نفخ بطنَ امّك كي تولدَ من بعد ؟ هل تستطيعُ أن ترى كلّ المبدَعات التي يتركبُ منها جهاز الانسان دون أن تعجبَ من الطريقة التي نُظمت بها الواحدةُ مع الاخرى ؟ هذه الاعصاب ، هذه العظام ، وهذه العروق ، وهذه الشرايين ، وهذه الرئة ، وهذا القلب ، وهـــذا الكبد ، وكل تلك العناصر الموجودة فيه ، والتي ... أوه ! قاطعني إذن إن شئتَ . انــــني لا أستطيع أن أناقشَ اذا لم يقاطعْني أحد. انت تسكت عمداً وتدعُني عن خبث أتكلم وحدي .

دون جوان : — أنا بانتظار انتهاء برهانك .

سغاناريل : — يقوم برهاني على ان هناك شيئاً رائعاً في الانسان ، مهما استطعتَ أن تقول ، لم يستطع أن يشرحَهُ جميعُ العلماء. أليس من المدهش ان أكون هنا ، وان يكون شيء ما في رأسي الذي يفكر بمائة من الأشياء المختلفة في لحظة واحدة ويتصرفُ بجسمي كما يريد ؟ أريد أن أصفقَ بيدي ، ان أرفع ذراعي ، ان أرفع بصري الى السماء ، ان أخفض رأسي ، ان أحرّك قدمي ، ان أمضي الى اليمين ، الى اليسار ، الى الامام ، ان أدور الى الخلف ... (يسقط وهو يدور)

دون جوان : — حسناً ! هوذا برهانُك قد تهشمَ أنفُه .

سغاناريل : — يا لغبائي ! حقاً اني أضيع وقتي في المناقشة معك . أوْمِنْ بما تشاء : كم أودّ ان تكونَ من الهالكين !

دون جوان : — ولكنني أرى أننا ، ونحن نتحاجُّ ، قد ضللنا الطريق. نادِ هذا الرجلَ الذي تراه هناك لتسأله عن الطريق .

سغاناريل : — هولا ، هوه ! أيها الرجل ، هوه ! أيها الأخ ، هوه ! أيها الصديق ، كلمة صغيرة ، من فضلِك .

المشهد الثاني

دون جوان – سغاناريل – الشحاذ

سغاناريل : – ارشدْنا الى الطريق الذي يوصلُ الى المدينة .

الشحاذ : – ليس عليكما الا ان تتبعا هذه الطريق يا سادتي ، ثم تنحرفا الى الجهة اليمنى حين تبلغان نهاية الغابة . ولكني أنصحكما بأن تأخذا حذرَكما لأن في هذه الجهات بعضَ اللصوص .

دون جوان : – أعترفُ بفضلك يا صديقي ، وأشكرك من صميمُ قلبي .

الشحاذ : – إن أردتَ يا سيدي ان تُسعفَني بشيء من احسانك .

دون جوان : – آه ! ها ! اذن فنصيحتُك كانت مُغرضة [1] على ما أرى .

الشحاذ : – أنا رجل فقير يا سيدي ، منعزل وحدي في هذه الغابة

---

1) Intéressé.



دون جوان : هذه ليرة سأعطيك إياها اذا كفرتَ بالسماء .
خذ ، ولكن يجب أن تكفرَ بالسماء أولاً .

منذ عشر سنوات ، ولن اتأخرَ في الدعاء الى السماء كي تمنحك كلّ أنواع الخيرات .

دون جوان : — ايه ! صلّ لها كي تهبك ثوباً ، فلا تزعج نفسَك بالتدخل في شؤون الآخرين .

سغاناريل : — انت لا تعرف سيدي ، أيها الرجل الطيّب : انه لا يؤمن الا في ان اثنين واثنين يساويان اربعة وان أربعة واربعة تساوي ثمانية .

دون جوان : — وما هو عملك بين هذه الأشجار ؟

الشحاذ : — ان أصلي للسماء طول اليوم كي تيسرَ للمحسنين الذين يعطونني شيئاً .

دون جوان : — ألا يمكنُ ان تكون في بحبوحة اذن ؟

الشحاذ : — واحسرتاه يا سيدي ! انني في أشد الحاجة والعوز .

دون جوان : — انت تسخر : رجل يصلي للسماء طول النهار لا يمكن الا ان يكون في حالة يسر ورخاء .

الشحاذ : — اؤكد لك يا سيدي ، انني ، في معظم الأحيان ، لا أجد كسرة من الخبز أتبلغ بها .

دون جوان : — هذا أمر عجيب . لقد جوزيتَ شـــر جزاء على صلواتك[1] . آه ! آه ! سأعطيك ليرة ذهبية في الحال شريطة ان تقبل بأن تكفرَ بالسماء .

الشحاذ : — آه يا سيدي ! أتريد ان أرتكبَ مثلَ هذه الخطيئة ؟

دون جوان : — ما عليـــك الا ان تُقرر ان كنتَ تريدُ الحصولَ على ليرة ذهبية ام لا : هذه ليرة سأعطيك اياها اذا كفرتَ بالسماء . خذ ، ولكن يجب ان تكفرَ بالسماء اولاً .

الشحاذ : — سيدي ...

دون جوان : — لن تحصل عليها بأقلّ من ذلك .

سغاناريل : — هيا ، هيا ، جدف على الله قليلاً ، لا ضرَر في ذلك .

دون جوان : — خذ قلتُ لك ، خذ ، ولكن جدف إذن على الله .

الشحاذ : — كلا يا سيدي ، خيرٌ لي ان أموتَ جوعاً ، على ان ...

دون جوان : — هيا ، هيا ، انني أعطيك اياهـــا محبة بالأنسانية (ينظر الى الغابة) ولكن مـــاذا أرى هناك ؟ رجل واحدٌ يُهاجمه ثلاثة ؟ المعركة ليست متكافئة[2] .. ولا أستطيع ان أتحمل هذه النذالة .

(يمتشق سيفه ويهرع الى مكان المعركة)

---

1) Tu es bien mal reconnu de tes soins.
2) La partie est trop inégalée.

المشهد الثالث

سفناريل (وحده)

ان سيدي لرجل ٌمتهور جداً حين يعرض نفسَه لخطر
لا يسعى اليه ؛ لكن والله ، لقد أثمرت هذه النجدة ،
واستطاع الاثنان ان ُيجبرا الثلاثة على الهرب .•

المشهد الرابـــع

دون جوان – دون كارلوس - سغاناريل

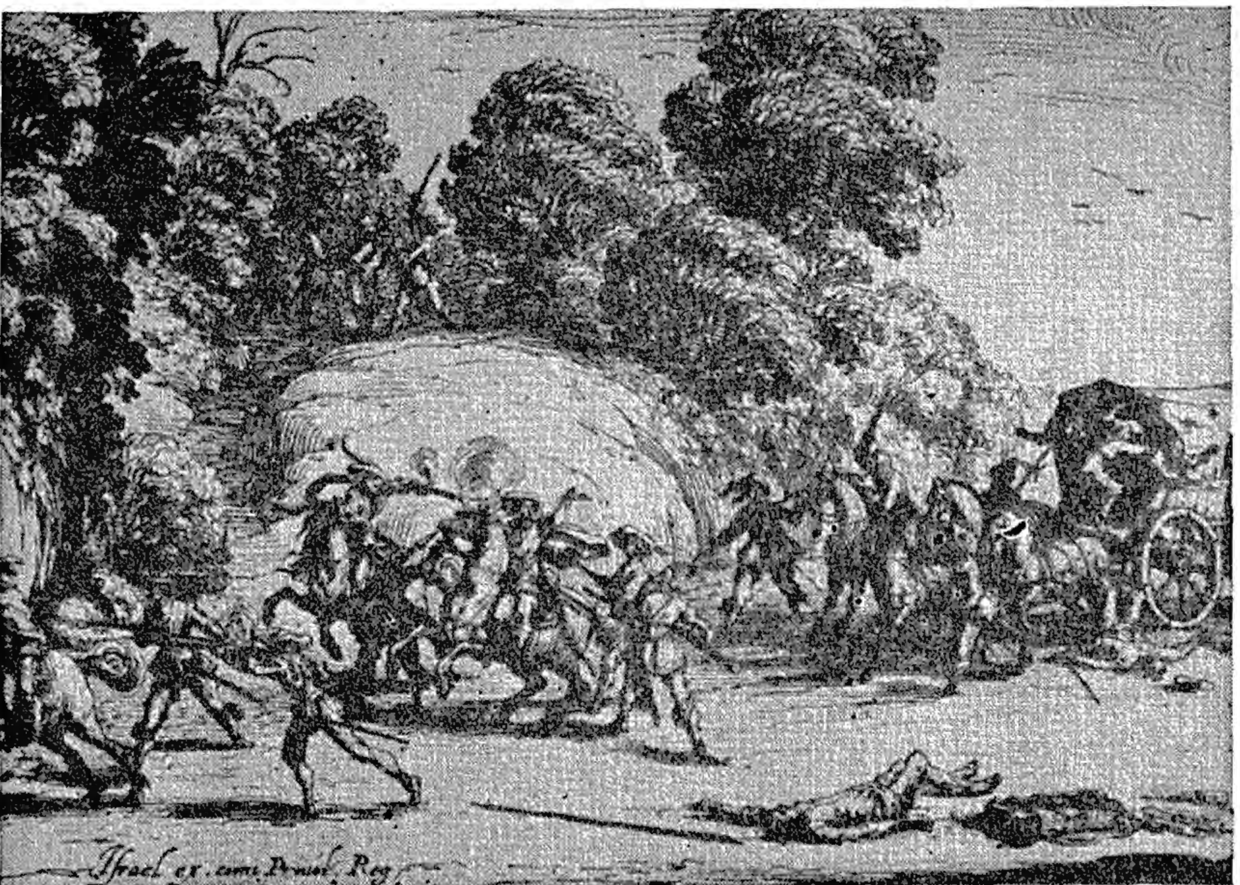
دون كارلوس: – (سيفه في يده) إنني أدركُ ، بهرب هؤلاء اللصوص ، مقدارَ قوة ساعدك . فاسمح لي يا سيدي ان أشكرَك على مثل هذا العمل الكريم ، وانني ...

دون جوان : – سيدي ، لم أفعل إلا ما كنت تفعله أنت لو كنتَ في مكاني . ان شرفَنا يتوقفُ على مثل هذه المخاطرات ، وان تصرف هؤلاء الانذال كان من الدناءة بحيث انني لو لم أقاومهم لكنتُ مُشتركاً معهم . ولكن أيةُ مناسَبة[1] ألقت بك بين ايديهم ؟

دون كارلوس: – ضللتُ الطريق صدفة عن أخ لي وعن جميع أتباعِنا ، ولمـــا كنت أسعى للحاق بهم التقيت بهؤلاء اللصوص الذين قتلوا حصاني أولَ الامر ، ولولا شجاعتُك[2] لكانوا قضوا عليّ أيضاً .

---

1) Rencontre. 2) Valeur.



دون كارلوس : ولولا شجاعتك لكانوا قضوا عليّ أيضاً .

دون جوان : — هل في نيتك ان تذهب ناحية المدينة ؟

دون كارلوس: — نعم ، ولكني لا أريد أن أدخلها ، لأني مضطر أنا وأخي ان نمكث في الريف بسبب إحدى الحوادث السيئة التي تُرغم النبلاء على أن يضحوا بأنفسهم وبممتلكاتهم ذوداً عن الشرف الرفيع . وهذا مهما تحققَ له من نجاح فإنه ينتهي دائماً بالنكبات. لأنه إذا لم يفقد المرء حياتَه في هذا السبيل فإنه يرى نفسَه مضطراً الى مغادرة المملكة . ولهذا أجد النبيل في وَضع تَعس لا يُحسد عليه ، حين لا يستطيع أن يَركن الى الحذر والشرف في سلوكه ، وحين يكون مستعبَداً لقوانين الشرف في سوء مَسلك الآخرين ، وان يرى حياتَه وراحتَه وأملاكَه متوقّفة على نزوة أول متهوّر يَعنّ له أن يقذفَه بإحدى الشتائم التي تضطرُّ الرجلَ النبيلَ الى أن يجازفَ بحياتِه من أجلِها .

دون جوان : — إن لنا هذه الميزة في أن نقومَ بالمخاطرةِ نفسِها وإضاعة وقتِ الذين يخطرُ لهم أن يأتوا فيُهينونا عن طيبةِ خاطِر. ولكن ألا يكونُ ذلك من الفضول أن أسألك عن قضيتِك ؟

دون كارلوس: — لم تعدِ القضيةُ في حاجةٍ الى أن نجعلَها سِرّاً ، لأنه عندما تنتشرُ الإهانة ، فإن شرفَنا لا يحاولُ أبداً أن

يَستر خِزيَنا ، ولكنه يمضي قُدُماً ليفجّرَ ثأرَنا ، وليُذيعَ كذلك العزمَ الذي بيّتناه . لذلك ، فأنــا يا سيدي لا أتردّدُ في أن أقولَ لكَ إن الإهـانةَ التي نسعى لنثأرَ لها ، تختصُّ بشقيقةٍ لنا غُرِّرَ بهـا وخُطِفتْ من الدير ، والذي قامَ بهذه الإهانةِ شخص يُدعى دون جوان تينوريو ابن دون لويس تينوريو . إننا نبحث عنه منذ بضعةِ أيام ولقد تبعناه هذا الصباح بناءً على تقريرِ أحدِ الخدمِ الذي قالَ لنـا انه خرجَ مُمتَطِياً حصاناً ، برفقةِ أربعةٍ أو خمسةٍ من رجالِه ، وأنـه اتخذَ طريقَهُ على طولِ هذا الشاطىء ؛ ولكن جهودَنا[1] كلّها ذهبتْ أدراجَ الرياح ، ولم نستطعْ أن نعرفَ ماذا حلّ به .

دون جوان : — وهل تعرف يا سيدي دون جوان هذا الذي تتحدث عنه؟

دون كارلوس: — كلا ، فأنا شخصياً لم أرَه أبداً ، ولقد سمعتُ فقط من الذي وصفَه لأخي ؛ ولكن شهرتَه لا تدلُّ على أنه يتمتعُ بسمعةٍ طيبة ، وهو رجلٌ كانت حياته ...

دون جوان : — كفى يا سيّدي من فضلِكَ . إنه أحدُ أصدقائي ، وسيكونُ من الجبن ، بالنسبةِ إليّ ، أن أستمعَ الى من يغتابُهُ أمامي .

---

1) Soins.

دون كارلوس :– اكراماً لك يا سيدي ، لن أقول عنه شيئاً ابداً ، وان أقلّ ما يمليه الواجب نحوك ، بعد ان أنقذت حياتي ، هو ان أسكت أمامــك عن شخص تعرفه حينما لا أستطيع ان أتحدث عنه دون ان أذكره بسوء ؛ ولكن مهما كانت صداقتُك نحوه ، فانني أجرؤ ان آمل بأنك لا تؤيدُ عملَه ، ولا تجدُ غرابةً في بحثنا عنه للثأر منه .

دون جوان . – بالعكس ، أريد ان أساعدَكما على ذلك ، وأوفر عليكما جهوداً لا جدوى منها . انني صديق لدون جوان ولا أستطيع ان أنكر ذلك ، ولكن ليس من الصواب ان يُهين بعضَ النبلاء من غير ان ينالَ جزاءَه ، واني لأتعهدُ بأن أجعلَه يقدم لكما اعتذاراته .

دون كارلوس :– وأية اعتذارات يمكن ان تُقدّم عن مثــل هذه الأهانات ؟

دون جوان : – كل ما يتمنى شرفكما ؛ ولكي لا أحملكما مزيداً من البحث عن دون جوان ، فاني آخذ على عاتقي ان أجعلَه يحضر الى المكان الذي تريدان ، وفي أي وقت يطيب لكما .

دون كارلوس :– هذا أمل عذب يا سيدي لقلوب مُهانة ؛ ولكن بعد

الذي انا مَدين لك به فانه يؤلمني اشد الألم ان تكون من اصدقائه وتقف الى جانبه .

دون جوان : — اني مرتبط بدون جوان ارتباطاً قويـــاً حتى انه لا يعرف ان يقاتل ان لم أقاتلْ معه انا ايضاً . واني أجيبك عنه كما لو كنت أجيب عن نفسي ، وما عليك الا ان تقول متى تريده ان يظهر ويكفر عن ذنبه .

دون كارلوس : — ما اسوأ حظي ! أكان ينبغي ان أدينَ لك بحياتي ، وان يكون دون جوان من أصدقائك ؟

المشهد الخامس

دون ألونس وثلاثة من اتباعه

دون كارلوس - دون جوان - سغاناريل

دون الونس : - (يخاطب أتباعه) دعوا جيادي تشربُ هناك ثم احضروها وراءنا ؛ فأنا أريد ان أسير قليلاً على قدميَّ .
(يراهما معاً) يا للسماء ! ماذا أرى هنا ؟ عجباً! ها أنتذا يا أخي مع عدونا اللدود ؟

دون كارلوس : عدونا اللدود ؟

دون جوان : - (يتراجع ثلاث خطوات واضعاً يده على مقبض سيفه بأنفة) نعم انا دون جوان بنفسه ، وان كثرةَ العدد لا تحملني على كتم اسمي .

دون ألونس : - (يشهر سيفه) آه ! أيها الخائن ، يجب ان تموت و ...
(يركض سغاناريل ليختبيء)

دون كارلوس : - آه ! قف يا أخي ! انا مَدين له بحياتي ، ولولا نجدةُ ساعِده لكان اللصوص الذين التقوا بي قتلوني .

دون ألونس : — وهل تريد ان يَحول هذا الاعتبارُ دون انتقامنا ؟ ان كل الخدمات التي تسديها الينا يدٌ عدوة ليس لها اي تأثير في إلزام أنفسنا بشيء نحوها . واذا وجب ان يقاسَ الجميلُ بالاهانة ، فان اعترافك بالجميل في هذه الحالة يعتبر سخيفاً يا اخي . وبما ان الشرف اثمنُ بكثير من الحياة فلسنا مَدينين البتة بحياتنا لمن سَلبنا شرفَنا .

دون كارلوس : اعلمْ يا اخي ان على الرجل النبيل ان يفرق دائماً بين هذه وتلك . واعترافي بالجميل لا يمحو ابداً من نفسي أثر تلك الاهانة . ولكن اسمح لي ان أرد له هنا ما أداني به ، وان أوفي ما عليّ فوراً من الحياة التي أدين له بها ، بمهلة لثأرنا ، واترك له حريةَ التمتع ، خلال بضعة ايام ، بثمرة جميله واحسانه .

دون ألونس : — لا . لا . إننا نجازفُ بانتقامِنا إذا نحن أخّرْناه ، وقد لا تُتاحُ لنا الفرصة فيما بعد . إن السماءَ لتقدّمُه لنا الآن ، وعلينا نحن أن نستفيدَ من ذلك. عندما يُجرَحُ الشرَفُ جرْحاً مُميتاً ، فليسَ على المرءِ أن يفكّرَ بمُراعاةِ أيّ اعتبار ؛ وإذا كنتَ تنفرُ أن تمد ساعدك لهذا العمل، فما عليك إلا أن تنسحبَ وتفسحَ لساعدي بجدَ مثلِ هذه التضحية .



دون الونس : آه ! أيها الخائن ، يجب أن تموت .

دون كارلوس – أرجوك يا أخي ...

دون ألونس : - لا فائدةَ من كلّ هذا الكلام ، يجبُ أن يموت .

دون كارلوس: قلتُ لكَ توقفْ يا أخي . لن أتحمّلَ أبداً أيةَ محاولةٍ للقضاءِ على حياتِه ، وأقسمُ بالسماءِ أنني سوف أدافعُ عنه هنا ضدّ أيّ إنسانٍ كائناً من كان ، وسوف أعرف كيفَ أجعلُ من حياتي التي أنقذَها دِرعاً له ، وإذا أردتَ أن تسدّدَ إليهِ ضرباتِكَ فعليكَ أن تخترقَ صدري أولاً .

دون ألونس : – عجباً ! أتقف ضدي إلى جانبِ عدوّنا ؟ وبدلاً من أن يُثيرَ فيك مرآه كلّ مشاعر[1] الغضبِ التي أشعرُ بها نحوه ، تُظهرُ له المودّةَ والعطف !

دون كارلوس: – فلنُظهرْ يا أخي شيئاً من الاعتدال في عملٍ عادلٍ ، ولا نثأرْ لشرفِنا بهذا الغضبِ[2] الذي يَظهرُ عليك . ليكنْ لنا قلبٌ يملك زمامَ أمره ، وشجاعةٌ بعيدةٌ عن الفظاظة ، تندفعُ الى الأشياءِ وِفقَ حُكمِ عقلِنا الصِرف ، لا تحتَ تأثيرِ غضبٍ أعمى . لا أريد يا أخي أن أظلّ مَديناً لعدوّي ، فأنا مَدينٌ له بفضلٍ أريدُ أن أسوّيَ أمرَه قبلَ كلّ شيء . وإن انتقامَنا ، إذا

---

1) Transports.   2) Emportement.

تأجّل ، لن يكونَ أقلَّ رَوْعة ؛ بل على العكس ، فإن قيمتَه ستكونُ أكبر ، وهذه الفرصةُ التي كنّا نستطيعُ أن نفيدَ منها ستجعلُ انتقامَنا أكثرَ عدالةً في نظرِ كلّ الناس .

دون الونس : — يا للضّعفِ الغريبِ ويا للعمى المُخيفِ أن يجازفَ المرءُ هكذا بمَصالحِ شرفِهِ من أجلِ فِكرةٍ سَخيفةٍ لواجبٍ وهمي !

دون كارلوس: — كلا يا أخي ، لا تكدّر نفسَك. إذا كنتُ قد ارتكبت خطأ ، فإنني سأعرفُ جيداً كيف أصلِحُ خطأي ، وإني لآخذُ على عاتقي كلَّ مـــا يتطلبُه شرفُنا . أنا أعرفُ جيداً ما يقتضيه الشرف ، وهذا التأجيل ليومٍ واحدٍ أمهلُه إياه ، والذي يَدْعوني اعترافي بجميلِـهِ إلى منحِهِ له ، لن يفعلَ سِوى أن يُضاعِفَ حماستي لإرضـاءِ شرفي . أنتَ تَرى يا دون جوان كيفَ انني أحرصُ على أن أردَّ لكَ الجميـلَ الذي أسديتَه إليَّ ، وعليك أن تحكمَ من خلالِ هذا على الباقي ، وأن تؤمنَ بأنني أوْفي اسناب بنفس الحماسة . لما أدينُ به لشرفي ، وبأنني لن أكونَ أقلَّ دقةٍ في أن أردَّ لك الإهانةَ كما رَدَدْتُ لك الجميـل . أنا لا أريدُ أن أجبرَك على أن تشرحَ الآن عواطفَك ومشاعرَك ، وأتركُ لك الحريةِ

في أن تفكر ، على مهل ، في القرارات التي يجب أن تتخذها . أنت تعلم جيداً جسامة الإهانة التي ارتكبتها في حقنا ، وإني لأحكمك بنفسك فيما تتطلبه هذه الإهانة من تكفير . هناك طرق معتدلة لإرضائنا، وهناك طرق عنيفة ودموية، ولكن مهما يكن اختيارك ، آخر الأمر ، فقد وعدتني بأن دون جوان سوف يقدم لي اعتذاره : فكر بالوفاء به ، أرجوك ، وتذكر انني ، بعيداً عن هذا المكان ، لن أدين بشيء الا لشرفي .

دون جوان : — انني لم أطلب منك شيئاً ، وستحصل على ما وعدتك به .

دون كارلوس : — هيا يا أخي : ان برهة من اللطف لا تهين في شيء صرامة واجبنا .

———

المشهد السادس

دون جوان ـ سغاناريل

دون جوان : ـ هولا ! هيه ، سغاناريل !

سغاناريل : ـ (يخرج من المكان الذي اختبأ فيه) ماذا تقول[1] ؟

دون جوان : ـ كيف ؟ أتهرب يا وغدُ حين أهاجَم ؟

سغاناريل : ـ سامحني يا سيدي ؛ لقد كنت على مقربة منك . أعتقد ان هذا الثوب يسبب الإسهال ، وان ارتداءَه يعني ان يُصاب المرء بالإسهال .

دون جوان : ـ ليأخذك الطاعون أيها الوقح ! أستر جبنك بستارٍ أشرف على الأقل . أتعرف من هو هذا الذي انقذتُ حياته ؟

سغاناريل : ـ أنا ؟ كلا .

دون جوان : ـ انه أحد اخوة الفيرِ .

---

1) Plait-il ?

سغاناريل : — احد .

دون جوان : — انه رجلٌ شريف جداً ، ولقد تصرف تصرفاً كريماً[1] ، واني لآسفُ ان تكون بيني وبينه خصومة

سغاناريل : — بإمكانِك أن تسوّي كلَّ شيء .

دون جوان : — أجل. ولكن عاطفتي نحو دونا ألفير قد تلاشت وانتهت، وإن التزامي لا يمكنُ أن يتفقَ ومزاجي . إني أُحِبُّ الحريةَ في الحبِّ كما تعلم ، ولا أستطيعُ أن أحبس قلبي بين جدران أربعة لقد قلتُ لكَ ذلك عشرين مرة ، إن لي مَيْلاً طبيعياً يجعلني أستسلمُ لكل من تستهويني، إن قلبي مُلكٌ لجميعِ الفاتنات ، وعليهنّ أن يأخذنَه كل واحدة بدورها، وأن يحتفظن به قدْر ما يستطعن. ولكن ما هذا البناءُ الفخمُ الذي أراه بين الأشجار ؟

سغاناريل : — ألا تعرفه ؟

دون جوان : — أبداً ، لا أعرفه .

سغاناريل : — حسناً ! إنه الضريحُ الذي كان الكومندور قد أوصى ببنائِه حين قتلتَه .

دون جوان : — آه ! أنتَ على صواب . لم أكنْ أعرف أنـه في هذه

---

1) Il en a bien usé.

الجهة . لقد حدّثني كلُّ الناسِ عن روعةِ هذا البناء، كما حدّثوني كذلك عن تمثالِ الكوماندور ، وإني أتوقُ لرُؤْيَتِهِ .

سفاناريل : — لا تذهبْ الى هناك يا سيدي .

دون جوان : — لماذا ؟

سفاناريل : — ليس من اللائق[1] أن تزور رجلاً قتلته .

دون جوان : — على العكس ، هذه زيارةٌ للمُجاملةِ والتحية ، وعليه أن يتقبّلها بكلّ ترحابٍ لو كان ظريفاً حقاً . هيا لنمضِ الى الداخل .

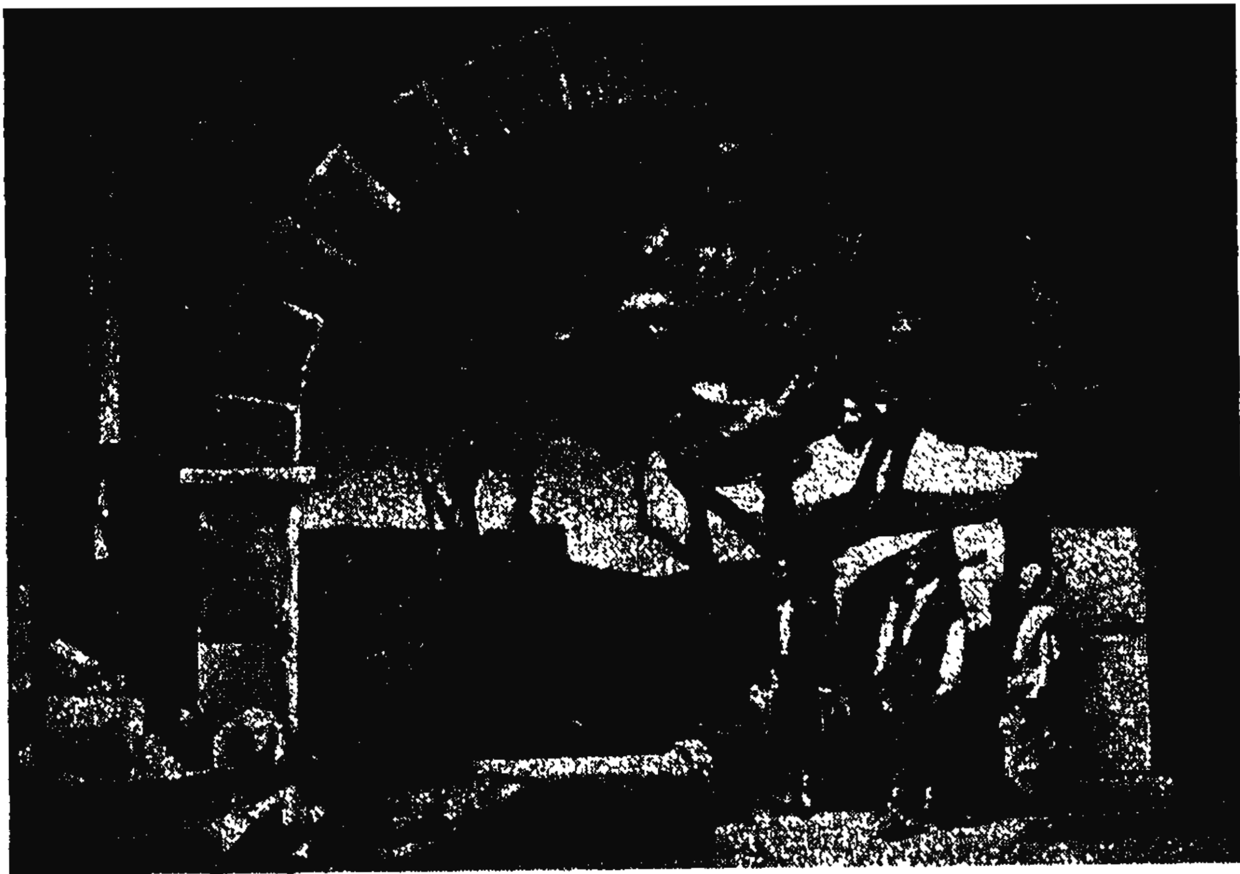
(يفتح القبر ، حيث يُرى ضريح رائع وتمثال الكوماندور)

سفاناريل : — آه ! ما أجملَ هذا ! يا للتماثيل الجميلة ! يا للرخام البديع ! يا للأعمدة الرائعة ! آه ! ما أجمل كل هذا ! ما رأيك يا سيدي ؟

دون جوان : — رأيي انه لا يمكن ان نرى طموحَ رجل ميت يبلغُ الى أبعدَ من هذا ؛ والذي يُثير دهشتي حقاً ، هو ان رجلاً كان يقنع في حياته بمسكن بسيط ، يريد ان يملك مسكناً فخماً لليوم الذي لن يكون فيه بحاجة اليه .

---

1) Ce n'est pas civil.



سغاناريل : سيدي الكوماندور : ان سيدي دون جوان يسألك ان كنت تريد ان تشرّفه بتناول العشاء معه .

سغاناريل : — ها هوذا تمثال الكوماندور .

دون جوان : - يقيناً ! ان رؤيتَه وهو مرتدٍ ثيابَ امبراطورٍ روماني مدعاةٌ للسخرية .

سغاناريل : — حقاً انه مصنوعٌ جيداً ، ويبدو كأنه حي وسيتكلم . انه يرُمقنا بنظراتٍ كان من الممكن ان تُخيفني لو كنت وحدي ، واعتقدُ ان مرآنا لا يسرّه .

دون جوان : - انه مخطىء ، وان في عمله هذا لأسوأ تقبّل للشرف الذي أوليه اياه . اسألْه إن كان يريد ان يأتي لتناول العشاء معي .

سغاناريل : - هذا شيء لا يحتاج اليه على ما اعتقد .

دون جوان : — قلت لك اسألْه .

سغاناريل : — أتراك تسخر ؟ انه من الجنون ان يكلم الانسان تمثالاً .

دون جوان . - افعل ما قلتُ لك.

سغاناريل : — يا للغرابة ! سيدي الكومندور ... انني أضحك من غبائي ، ولكنّ سيدي هو الذي يجعلني أفعل ذلك . سيدي الكوماندور : ان سيدي دون جوان يسألك ان كنت تريد ان تشرّفه بتناول العشـــاء معه . (التمثال يخفض رأسه) ها !

دون جوان : — ماذا ؟ ما بك ؟ قل لي ، هل تريد ان تتكلم ؟

سغاناريل : — (سغاناريل يأتي نفسَ الاشارة التي قام بها التمثال فيخفض رأسه)[1] التمثال ...

دون جوان : — حسناً ! ماذا تريد ان تقول أيها الخائن !

سغاناريل : — اقول لك إن التمثال ...

دون جوان : — حسناً ! التمثال ؟ سأقتلك ان لم تتكلم .

سغاناريل : — التمثال أومأ اليّ .

دون جوان : — ليأخذك الطاعون أيها الوغد !

سغاناريل : — قلت لك إنه أومأ اليّ ؛ وليس هناك شيءٌ أصدقُ من هــذا . اذهبْ وكلمْه انت بنفسك لكي ترى . فلعله ...

دون جوان : — تعال أيها الخبيث ، تعالَ ، سأجعلُك تلمسُ جبنَك بأصبعك . انتبه . هل يريد السيد الكوماندور ان يتناولَ العشاءَ معي ؟

(التمثال يخفض رأسه مرة أخرى) .

---

١) لم يعد الأمر يتعلق بالتمثال وانما بظاهرة خارقة .

سغاناريل : — انا لا ابيعُ هذا المشهدَ بعشر ليرات . وبعد ! مـــا قولك في هذا يا سيدي ؟

دون جوان : — هيا ، لنخرج من هنا .

سغاناريل : — ها هو الزنديق الذي لا يريدُ ان يُؤمن بشيء .



الفصل الرابع

المشهدُ الأول

دون جوان – سغاناريل

دون جوان : – مهما يكنْ من أمرٍ فلنطوِ الموضوع : فهو لا يَعْدو أن يكون شيئاً تافهاً ، ومن المحتمَل أن نكون قد خُدعنا بضوء سَراب أو تملّكنا شيءٌ من الاضطراب صعدَ إلى رؤوسِنا فعكَّرَ علينا الرؤية[2].

سغاناريل : – ويْحك ! لا تحاولْ يا سيدي أن تكذّبَ ما رَأيْنــاه بأعينِنا هذه . وليس ثمةَ ما هو أكثر صِدقاً من إشارة الرأسِ التي رأيناهــا ؛ ولا أشكُّ في أن السماء ، وقد استنكرتْ الحياةَ التي تحياها ، لم تأتِ بهذه المعجزةَ لتقنعُكَ وتنتشلك من . . .

---

١) تجري حوادث هذا الفصل في منزل دون جوان .

٢) من المحتمل أن يكون لما رآه دون جوان من إشارة التمثال قد شغل باله . ولكنه ، وهو الملحد ، يحاول أن يجد لها مبررات طبيعية .

دون جوان : – إسمع . إن كنتَ ستضايقُني بمزيدٍ من مواعظِكَ الأخلاقيةِ الحمقاء ، أو قلتَ لي ثانيةً أقلَّ كلمةٍ في هذا الموضوع ، فسوف أستدعي شخصاً وأطلبُ اليـهِ أن يُوافيني بسوط[1] ، وأعهدُ الى ثلاثة أو أربعة أن يمسكوا بك ، وأجلدُك ألفَ جلدة . هل فهمتَني جيداً .

سغاناريل : – حسنٌ جداً يا سيدي ، بل كأحسنِ ما يكون الفهم . إنك لتتكلمُ بمنتهى الوضوح ، وإنكَ لتمتـازُ بأنك لا تتبعُ طرقاً ملتويةً في التعبير ، فأنت تشرحُ الأشياءَ بدِقّةٍ عجيبة .

دون جوان : – هيا ، فليهيّئوا لي العشاءَ بأسرعِ ما يمكن . احضر لي كرسياً يا غلام .



---

1) Un nerf de boeuf.

المشهد الثاني

دون جوان – سغاناريل – لافيوليت

لافيوليت : – سيدي ، هـــذا صديقك السيد ديمانش التاجر يطلب التحدث إليك .

سغاناريل : – حسناً ! هذا ما كان ينقصنا ، تحيةٌ رجل من الدائنين ! وما الذي خطرَ له حتى يأتي ليطالبَنا بالنقود ، ولِمَ لم تقل له ان السيد غائب ؟

لافيوليت : – منذ ثلاثة أرباع الساعة ، وأنا أقول له ذلك ؛ ولكنه لا يريد أن يصدق ، وقد جلس ينتظر هنا .

سغاناريل : – فلينتظر ما شاء له الانتظار .

دون جوان : – كلا ، على العكس ، دعْه يدخل . إنها سياسةٌ رديئة جـــداً ان يتهرب[1] الانسان من مقابلة الدائنين . فمن المستحسن ان ندفعَ لهم شيئاً ما ، واني لأعرف السرّ في جعلهم ينصرفون مسرورين دون أن أعطيَهم قرشاً واحداً[2] .

---

1) Se faire celer. 2) Sans leur donner un double.

المشهد الثالث

دون جوان – السيد ديانش – سغاناريل – خدم

دون جوان : – (وهو يقابله بترحاب كبير) آه ! يا سيد ديانش ، اقتربْ . كم أنا مسرورٌ برؤيتِك ، وكم أودُّ أن أعاقبَ خدمي لأنهم لم يُدْخِلوك في الحال ! صحيحٌ أنني كنتُ قد أصدرت أمري بعدم رَغبتي في الكلام مع أي إنسان، ولكن هذا الأمر لا يَسري عليك ، ومن حقّكَ ألاّ تجدَ باباً مغلَقاً في وجهك وأنت في منزلي .

السيد ديانش: – سيدي ، إنني شاكرٌ لك ذلك .

دون جوان : – (مخاطباً خدمه) يقيناً ! لسوف أعلّمكم أيها الأنذال كيف تتركون السيد ديانش في غرفة الإنتظار، ولسوف أجعلكم تعرفون أقدارَ الناس .

السيد ديانش: – سيدي ، ليس لهذا من أهمية .

دون جوان : - (السيد ديانش) كيف ! تقولون لأعزّ أصدقائي السيد ديانش أنني لست هنا !

السيد ديمانش: — أنا خادمُك يا سيدي . لقد جئتُ ...

دون جوان : — هيا بسرعة احضروا كرسياً للسيد ديمانش .

السيد ديمانش: — يا سيدي إنني مرتاحٌ هكذا .

دون جوان : — أبداً ، أبداً ، أريدُ أن تقعدَ بالقربِ مني .

السيد ديمانش: — ليس هذا ضرورياً .

دون جوان : — إرفعوا هذا المقعدَ واحضروا آخر يكونُ لائقاً به .

السيد ديمانش: — أنت تسخرُ يا سيدي ، و ...

دون جوان : — لا ، لا ، أنا أعرفُ ما أدين لك به ، ولا أريدهم أن يُقيموا فرقاً بيني وبينك .

السيد ديمانش: — سيدي ...

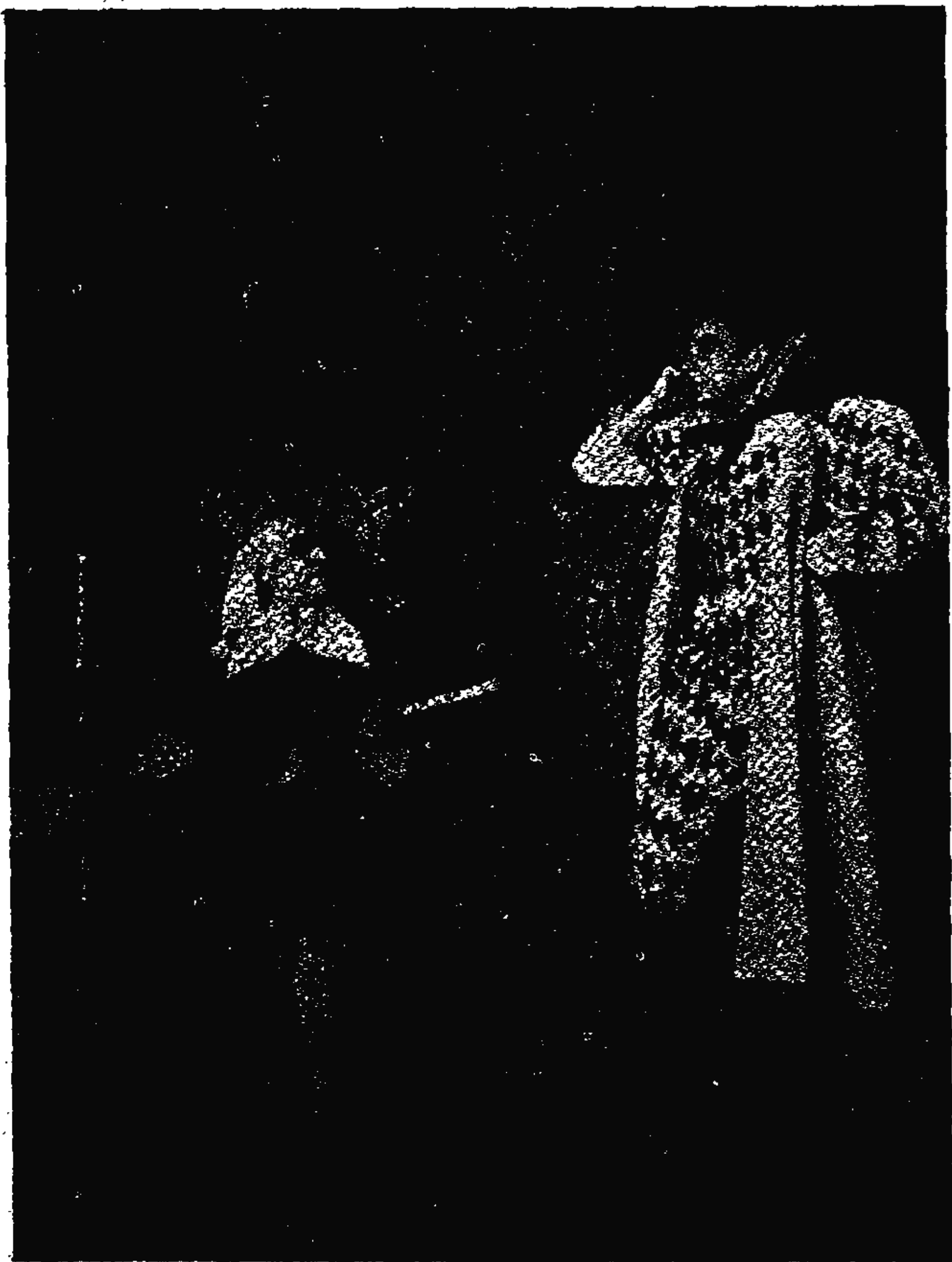
دون جوان : — هيا ، تفضل بالجلوس .

السيد ديمانش: — ليس هناك ما يدعو يا سيدي ، فليس لديّ سوى كلمة أقولها لك . كنتُ أريد ...

دون جوان : — اجلسْ هنا ، أقول لك .

السيد ديمانش: — كلا يا سيدي، انني مرتاح هكذا. لقد جئتُ من أجل...

دون جوان : — كلا ، لن أصغي إليك ما لم تجلس .



دون جون : يقيناً يا سيد ديمانس ! انك تبدو في صحة جيدة .
السيد ديمانش : نعم يا سيدي ، أنا في خدمتك . لقد جئتُ ...

السيدديانش: — سيدي ، سأفعل ما تريد . انني ...

دون جوان : — يقيناً يا سيد ديمونش ! إنك تبدو في صحة جيدة .

السيدديانش: — نعم يا سيدي ، أنا في خدمتك . لقد جئتُ ...

دون جوان : — الواقع ان صحتَك مدهشة ، فلك شفتان طريتان ، ووجه متَورد ، وعينان حادّتان .

السيدديانش: — أريد ...

دون جوان : — كيف صحة زوجتِك السيدة ديانش ؟

السيدديانش: — على أحسن ما يرام يا سيدي ، والحمد لله .

دون جوان : — إنها امرأة ممتازة .

السيدديانش: — إنها خادمتك يا سيدي . لقد جئتُ ...

دون جوان : — وابنتك الصغيرة كلودين ، كيف حالها ؟

السيدديانش: — على ما يرام .

دون جوان : — يا لها من فتاة صغيرة جميلة ! إني أحبها من كل قلبي .

السيد ديانش: — انك لتوليها شرفاً كبيراً يا سيدي . أريد ان ...

دون جوان : — والصغير كولان ، اما يَزال يُثير دائماً ضجة بطبلته ؟

السيد ديانش: — نعم ، الضجة ذاتها يا سيدي . انني ...

دون جوان : — وكلبُك الصغير بروسكه[1] ؟ اما يزال ينبح بصوت عال ، وهل لا يزال يَعض سيقان زائريك ؟

السيد ديمانش : — اكثر من اي وقت مضى يا سيدي . اننا لا نجد سبيلاً لمنعه من ذلك .

دون جوان : — لا تعجبْ إن رأيتَني اسألُ عن أخبار الاسرة ، فانا أهتم بها كثيراً .

السيد ديمانش :— اننا نشكرك على ذلك غاية الشكر يا سيدي . انني...

دون جوان :— (وهو يمد له يده) هات يدك اذن يا سيد ديمانش . هل انت حقاً من أصدقائي ؟

السيد ديمانش :— انا خادمك يا سيدي .

دون جوان : — بشرفي إني لك من كل قلبي .

السيد ديمانش :— انك لتشرفني كثيراً يا سيدي . انني ...

دون جوان : — ليس هناك شيء لا أفعله من أجلك .

السيد ديمانش : — سيدي ، إنك اتظهرُ لي عطفاً عظيماً جداً .

دون جوان : — وأرجو أن تصدقَ أن هذا بدون أي غرض .

---

١) هناك مثل شعبي يقول : سعيد ككلب بروسكه . أما موليير فقـــد أعطى الكلب اسم سيده .

السيدديمانش: — حقاً إنني لا أستحقُ هذا الفضل . ولكن يا سيدي...

دون جوان : — على فكرة، قل لي يا سيد ديمانش، هل تريد أن تتناول العشاءَ معي من غيرِ كُلفة؟

السيدديمانش: — كلا يا سيدي، يجب أن أعود الى المنزل سريعاً. وأنا...

دون جوان : — (وهو ينهض) كما تريد . هيـــا أحضروا مشعلاً بسرعة لتنيروا الطريقَ للسيدِ ديمانش، وليَحملْ أربعةٌ أو خمسةٌ من رجالي البنادقَ لمرافقتِه .

السيدديمانش: — (وهو ينهض كذلك) لا داعي لذلك يا سيدي، فسأمضي وحدي . ولكن ...

(سغاناريل يسحب الكراسي بسرعة)

دون جوان : — كيف؟ أريد أن يرافقوك، وإني لأهتم كثيراً بشخصك. أنا خادمُك، وزيادة على ذلك فأنا مَدينٌ لك .

السيدديمانش: — آه يا سيدي ...

دون جوان : — هذا شيءٌ لا أنكرُه أبداً، وأنا أقوله للجميع .

السيدديمانش: — إذا ...

دون جوان : — هل تريدُ أن أشيّعَك الى الخارج ؟

السهدديانش:— آه يا سيدي ، أنت تهزل ! سيدي ...

دون جوان : — عـانقـْني إذن أرجوك ! أرجوك مرة أخرى أن تقتنعَ بإنني تحتَ أمرِكَ ، وأنه لا يوجَدُ شيءٌ في العـالمِ لا أعمَلُهُ لخدمتِك .

(يخرج)

المشهد الرابع

سغاناريل – السيد ديانش

سغاناريل : – يجبُ أن تعترفَ بأن لكَ في شخصِ السيدِ إنساناً يحبُّكَ كثيراً .

السيد ديانش: – هذا صحيح ؛ فهو يبالغ في الترحيب بي[1] وإكرامي حتى انني لم أستطعْ أن أطالبه بالمال .

سغاناريل : – أؤكدُ لك أن أهلَ بيتِه جميعاً على استعدادٍ لأن يتفانوا في سبيلِك ؛ وأتمنى لو يحدثُ لك حادث ، أو يَعِنُّ لأحدٍ أن ينهالَ عليكَ ضرباً بالعصا : فسترى بأيةِ طريقة ...

السيد ديانش: – أصدق ذلك ، ولكن أرجوك يا سغاناريل ان تقول له كلمة صغيرة عن مالي .

---

1) Il me fait tant de civilités.

سغاناريل : — أوه ! لا تهتم بذلك ؛ فسيدفع لكَ مالك كأحسنِ ما يكون الدفع .

السيد ديانش:— ولكنك انت يا سغاناريل مَدين لي ، من جهتك ، بما أخذتَه مني لحسابك الخاص .

سغاناريل : - أف ! لا تتكلم عن هذا .

السيد ديانش:— كيف ! انني ...

سغاناريل : — ألستُ أعرف جيداً انني مدين لك ؟

السيد ديانش: — نعم ، ولكن ...

سغاناريل : — هيا يا سيد ديانش ، سأنيرُ لك الطريق .

السيد ديانش: — ولكن نقودي ...

سغاناريل : — (وهو يمسك بالسيد ديانش من ذراعه) هل تهزل ؟

السيد ديانش: — أريد ...

سغاناريل : - (وهو يجره) ويحك !

السيد ديانش: — افهمْ أن ...

سغاناريل : (وهو يدفعه نحو الباب) كلام فارغ !

السيدديمانش: – ولكن ...

سغاناريل : – (وهو يدفعه أيضاً) أف لك !

السيدديمانش: إنني ...

سغاناريل : – (وهو يدفعه الى خارج المسرح نهائياً) هيا قلت لك



المشهد الخامس

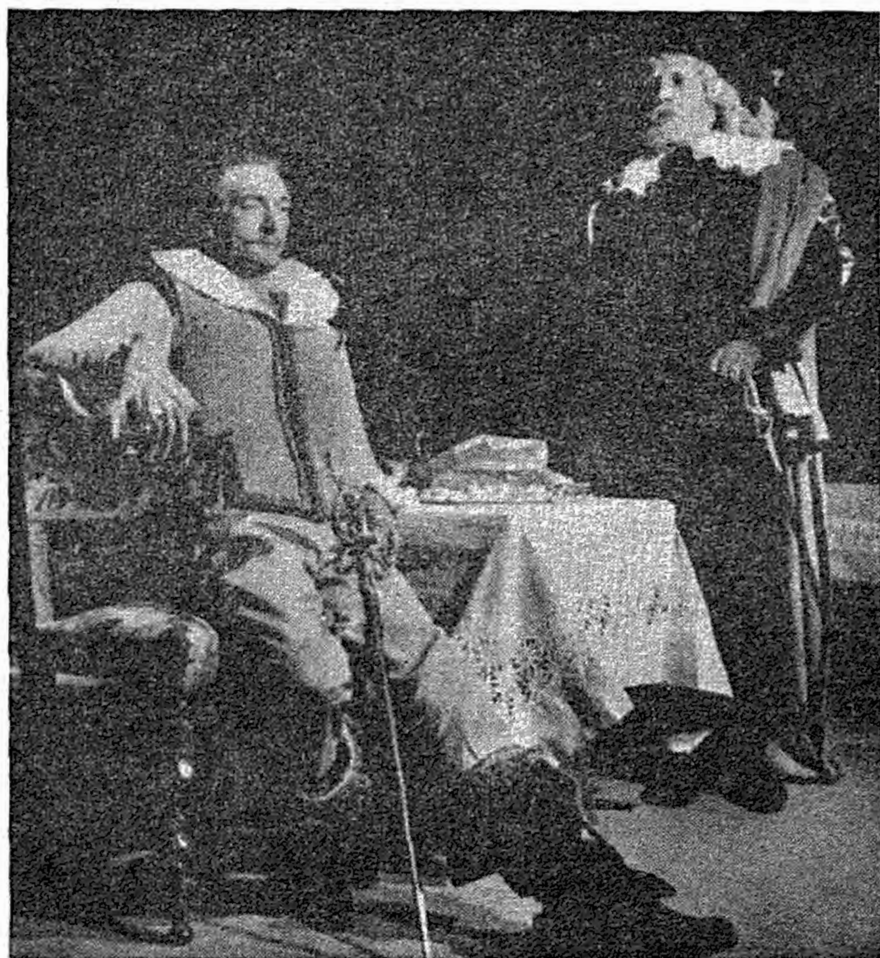
دون لويس – دون جوان – لافيوليت – سغاناريل

لافيوليت : – سيدي ، هوذا السيد الوالد ،

دون جوان : – آه ! لم يكن ينقصني الا هذا ! كان لا بد من هذه الزيارة لإثارة غضبي .

دون لويس : – أرى جيداً انني أثقـــل عليك ، وأنك تستغني عن زيارتي بكل سهولة . والواقع ان بيني وبينك عجزاً غريباً عن التفاهم ، فاذا كنتَ مُتعَباً من رؤيتي ، فأنا كذلك أشد تَعباً من سلوكك المشين[1] . واأسفاه اما أقلَّ ادراكَنا لمـــا نفعل عندما لا نترك للسماء أن ترعى الاشياءَ التي نحتاج إليها، وعندما نُريد أن نكون أكثر فطنة منهـــا ، ونلح عليها برغباتنا العمياء وطلباتنا الطائشة ! لقد تمنيتُ بحرارة لا مثيلَ لها ان يكون لي

1) Déportements.



دون لويس : آه ! أي عار تتردّى فيه ؟ ألا تخجل أن تكون غيرَ مستحق لشرف مولدك ؟

ولد ، وكنت أطلب ذلك بدون انقطاع وأنا شديد التأثر بدرجة لا تصدق ؛ وهذا الولد الذي حصلت عليه بعد أن أرهقتُ السماء بدعواتي ، هو مصدرُ الألم والعذاب لهـذه الحياة نفسها ، التي كنت أعتقدُ أنه سيكون لها بهجةً وعزاء . بأي عين، في رأيك ، تظن اني أستطيع ان أنظر بها الى هذه المجموعة[1] من الافعال القبيحة التي يَصعبُ علينا أن نلطفَ من سِحنتها السيئة أمام أنظار الناس ، هـذه السلسلة التي لا نهاية لها من الاعمال المنكرة ، التي تُرغمني في كل ساعة على ازعاج المليك الطيب ، والتي استنفدتْ في نظَره حسناتِ خدماتي ومكانةَ أصدقائي ؟ آه ! أي عار تتردى فيه ؟ الا تخجلُ أن تكون غيرَ مُستحق لشرف مولِدك ؟ قل لي : أيحق لك أن تفخر به ؟ وماذا فعلتَ في الدنيا كي تكون إنساناً نبيلاً ؟ هـل تعتقد أنه يَكفينا أن نحملَ الاسم والسلاح لنتباهى باننا ننحدر من دم نبيل في حين نحن نعيشُ مُلطخين بالفحشاء والرذيلة؟لا، لا ، ليس للولادة قيمةٌ حيث لا وجود للفضيلة . ولهـذا فليس لنا حق في مجد أسلافِنا الا بقدر ما نحاول أن

1) Amas.

تتشبّه بهم ؛ وان هذا الضياء الذي ينعكس علينا من أعمالهم تفرض علينا بان نردّ لهم هذا الشرف بالذات ، وان نسيرَ في الطريق التي رسموها لنا ، وبألا ُنفسد أبداً فضائلَـهم إذا كنا نريد أن نـُعتبر أحفاداً حقيقيين لهم . وهكذا فانك تنتسب عبثاً الى أسلاف تحدرتَ منهم ، وهم يُنكرون انك من دمهم ، وكل ما قاموا به من أعمال مجيدة لا يعطيك أيةَ مزية؛ بل على العكس فإن ضياءهم لا ينعكس عليك إلا لِيخزيك ، وبجدهم مِشعل يفضح في أعين كل الناس خزيَ أعمالِك . واعلم أخيراً ان النبيل الذي يعيش حياةً سيئة هو وحش في الطبيعة ، وان الفضيلة هي أولى علائم النبل ، وانني أنظر بعين الاعتبار الى أعمال الرجل اكثر مما أنظر الى الاسم الذي يوقّع به ، وانني أفضل ابنَ حمال[1] ذا سلوك شريف على ابن ملك يعيش حياةً كحياتك .

دون جوان : ـــ سيدي ، لو كنتَ جالساً لاستطعتَ ان تتكلمَ أفضلَ من ذلك .

---

1) Crocheteur.

دون لويس : — كلا ، أيها الوقح ، لا أريدُ أن أجلس ولا أن أتكلم أكثر من هذا ، واني أرى جيداً ان كلّ أقوالي لا تؤثر شيئاً في نفسك . ولكن إعلم ، أيها الابنُ العاق ، ان العطف الأبوي قـد استنفد الصبرَ باعمالك ، وانني ساعرف ، أكثر مما تستطيع ان تتصور ، كيف أضعُ حداً لمفاسدك[1] ، وكيف أستنزِل عليكَ غضبَ السماء ، وأغسلُ بعقابك العارَ الذي أصابني حين أنجبتك. (يخرج)

---

1) Dérèglements.

المشهد السادس

دون جوان – سغاناريل

دون جوان : – (الى والده الذي خرج) ايه ! متْ بأسرع ما تستطيع ان تموت ، فهذا خير ما تفعله. يجب ان يقوم كل انسان بدوره ، وان ما يُغيظني هو ان أرى الآباء يعيشون بقدر ما يعيش أبناؤهم . (يجلس في مقعده) .

سغاناريل : – آه يا سيدي أنت مخطىء .

دون جوان : – أنا مخطىء ؟

سغاناريل : – سيدي ...

دون جوان : – (وهو ينهض) أنا مخطىء ؟

سغاناريل : – نعم يا سيدي ، أنت مخطىء لأنك تحملتَ ما قاله لك، وكان عليك ان تمسك به من كتفه وتطردَه خارجاً . هل رأى احدٌ مثلَ هذه الوقاحة ؟ أب يأتي ليسدي

النصائح الى ابنه ويطلب منه ان يصحح أعمالـه وان يتذكرَ نشأتـه ، وان يعيشَ عيشةَ رجلٍ فاضل ومائة حماقة أخرى من هذا القبيل ! هل يستطيع رجل مثلك ان يتحملَ ذلك انت الذي يعرف كيف يجب ان يعيش ؟ انني لأعجب من صبرك ، ولو كنت مكانك لطردته شر طردة . (لنفسه) أيتها الجاملة الملعونة ! الى اين تنتهين بي ؟

دون جوان : — هل يمكن لي ان أتمشى بعد قليل ؟

المشهد السابع

دون جوان – دونا الفير – راغوتان – سغاناريل

راغوتان : – سيدي ، بالباب سيدة محجبة تريد ان تتكلم معك .

دون جوان : – من عساها تكون ؟

سغاناريل : – لا بد ان نراها .

دونا الفير : – (داخلة) لا تعجب يا دون جوان ان تراني في هذه الساعة وفي هذا اللباس[1] . فثمة داعٍ مُلحٌ حملني على هذه الزيارة ، وان ما أريدُ ان أقولَه لك لا يحتمل التأخير ابداً . انني لم آتِ الى هنا ممتلئة بذلك الغضب الذي أظهرتُه لك فيما مضى، وانك لتراني متغيرة جداً عما كنتُ عليه هذا الصباح . لم أعد دونا الفير التي كانت تدعو عليك ، والتي لم تكن روحها الناقمةُ ترميك الا بالتهديدات ، ولا تتنفس الا انتقاماً .

1) Equipage.

لقد طردتِ السماءُ من نفسي كلَّ تلك العواطفِ المخزيةِ التي كنتُ أشعر بها نحوك ، وكلَّ ذلك الحماس المضطرب[1] لحبٍ أثيم ، وكلَّ ذلك التعلقِ بحبٍ دنيوي حقير ، ولم تتركْ في قلبي نحوَك إلا شعلةً مُنزهة[2] عن كل متطلبات الحِس ، وحناناً مقدساً ، وحباً مجرداً عن كل شيء ، خالياً من الأَثرة ، ولا يكلفُ نفسَه العناءَ إلا في سبيلك .

دون جوان : — (لسغاناريل) أنت تبكي على ما أرى .

سغاناريل : — سامحني .

دونا ألفير : — ان هذا الحبَّ الكاملَ النقيَّ هو الذي يقودَني الى هنا في سبيل خيرِك ، ولكي أطلعك على انذار السماء ، وأحاولَ انتشالك من الهوة التي تتردى فيها . أجل يا دون جوان ، انني أعرف كلَّ مفاسد حياتك ، وان هذه السماء نفسَها التي لمستْ قلبي ولفتت نظري الى انحراف سيرتي ، قد أوحتْ اليَّ ان آتي اليك وأقول لك عن لسانها بان سيئاتك قد استنفدت رحمَتها[3] ،

1) Tous ces transports tumultueux.
2) Flamme épurée. 3) Miséricorde.

وان جامَ غضبها المُخيف قد أوشكَ انينصبَّ عليك، وينبغي ان تتجنبها بندامة مريعة، وربما لم يعد أمامك أكثر من يوم واحد لتستطيعَ انقاذَ نفسِك من أكبرِ المصائب جميعاً . أما أنا فلم يعدْ يربطُني بك أيُّ رباطٍ دنيوي. لقد تخلصتُ والحمد لله من جميع أفكاري الحمقاء؛ وقررت ان أعتزلَ العالم[1]، واني لا أطلبُ إلا ان يمد الله في أجَلي كي أتمكن من التكفير عن الخطيئة التي ارتكبتُها ، وكي أستحقّ بتوبةٍ قاسية ، العفوَ عن الطيش الذي قادتني اليه شهوةٌ آثمة[2] . إلا انني سأشعرُ ، في هذه العزلة ، بألم عميقٍ لو بلغني أن امرءاً أحببتُهُ حباً رقيقاً ، قد أصبحَ مثلاً مشؤوماً لعدالةِ السماء ؛ وسيكونُ فرحي عظيماً إذا أنا استطعتُ أن أحملكَ على تجنبِ الضربةِ الهائلة التي تهدّدُك . برُحماك يا دون جوان ، إمنحني -وهذا آخرُ ماأطلبه منك- هذا العزاء الجميل . لا ترفضْ أبداً خلاصَك[3] الذي أطلبه إليك باكية ؛ وإن أنتَ رفضتَ الإستجابةَ لمصلحتِك ، فاستجبْ على الأقلّ لضراعتي وتوسلاتي ، وجنّبْني هَولَ رؤيتِكَ وقد حُكم عليكَ بالعذابِ الأبَدي .

---

١) بدخولها الى الدير .

2) Passion condamnable.

3) Salut.

سغاناريل : – يا للمرأةِ المسكينة .

دونا الفير : – لقد أحببتُكَ بحنانٍ لا مزيد عليه، ولم يكن عندي في الدنيا ما هو أعز منك . لقد نسيتُ واجبي من أجلك ، وفعلتُ كلَّ شيء في سبيلك؛ وكلُّ ما أريد أن تكافئني به ، هو أن تصلِحَ حياتَكَ وتتجنبَ الهلاك . انقذ نفسَك ، أرجوك ، محبةً بنفسِكَ أو بنفسي . أعودُ وأكرّرُ ذلك يا دون جوان ، إنني أطلبُ اليك هذا الطلبَ باكية ، وإذا لم تكف دموعَ امرأة أحببتَها ، فإنني أناشدك ذلك بكل ما هو عزيز على قلبك .

سغاناريل : – يا لقلبِ النمر !

دونا ألفير : – إنني ذاهبة بعد هذا الحديث ، وهذا كل ما كنت أريد أن أقولـه لك .

دون جوان : – سيدتي ، لقد بات الوقت متأخراً ، امكثي هنـــا : سنضيفكِ كأحسنِ ما تكون الضيافة .

دونا ألفير : – كلا يا دون جوان ، لا تحتجزْني أكثرَ من هذا .

دون جوان : — ثقي يا سيدتي أن بقاءك هنا سيحمل الى نفسي البهجة.

دونا ألفير : — قلتُ لك كلا ، لا داعي لأن نضيع وقتنا في أحاديثَ تافهة[1] . دعني أمضي بسرعة ولا تلحّ[2] في تشييعي، بل فكرْ فقط في الاستفادة من نصيحتي .

---

1) Superflus. 2) Ne faites aucune instance.

المشهد الثامن

دون جوان - سغاناريل - اتباع

دون جوان : — هل تعلم انني شعرت بشيء من الانفعال نحوها ، ووجدت متعة[1] في هذه الطرافة الغريبة ، وان ثيابها المهملة وشكلها الذابل ودموعها قد أيقظت في نفسي بقايا يسيرة من حب خمدت جذوته ؟

سغاناريل : — هذا معناه ان كلماتها لم يكن لها أي تأثير عليك .

دون جوان : — العشاء بسرعة .

سغاناريل : — حسن جداً .

دون جوان : — (وهو يجلس الى المائدة) سغاناريل ، يجب مع ذلك ان أفكر في تقديم سلوكي[2] .

---

1) Agrément. 2) A s'amender.

سغاناريل : — آه ! !

دون جوان : — نعم ، وذمتي ! يجب أن أقوّم سلوكي . أمامنا عشرون او ثلاثون سنة نعيشها في هذه الحياة الممتعة ، ثم نفكرُ في أنفسنا بعد ذلك .

سغاناريل : — أوه !

دون جوان : — ما رأيك في هذا ؟

سغاناريل : — لا شيء . هاكَ العشاء .

(يتناول قطعة من احد الصحون التي أحضرت ويضعها في فمه .)

دون جوان : — يخيّل اليّ ان خدّك متورم ، ما هذا ؟ تكلم ، ما بك؟

سغاناريل : — لا شيء .

دون جوان : — دعني أرى قليلا . يقيناً ! هذا تورمٌ أصابَ خدَّه . احضروا مشرطاً[1] بسرعة كي نثقب خدّه ! ان المسكين لم يعد يستطيع ان يتحمل أكثر من هذا ، وقد يميته هذا الدُمل . انتظر : أترى ما أشد ما يبدو مستقرناً . آه ! يا لكَ من لص[2] !

1) Lancette.

٢) خيّل الى دون جوان ان خدّ سغاناريل متورّم نتيجة مرض ثم أدرك انه قد انتفخ من اللقمة التي سرقها .

سغاناريل : — وحقك يا سيدي لقـــد أردت ان أعرف هل وضع طباخك في الطعام كثيراً من الملح او كثيراً من البهار.

دون جوان : — هيا ، اجلس هنا وكـُل . فأنا بحاجة إليك بعد العشاء إنك جائع على ما أرى .

سغاناريل : — (يجلس الى المائدة) أعتقدُ ذلك جيداً يا سيدي ، فانا لم آكل شيئاً منذ الصباح . ذق من هذا ، انه ألذّ شيء في العالم . (يرفع احد الخدم صحن سغاناريل قبل ان يأكل ما فيه) صحني ، صحني ! تمهلْ من فضلك . يا للشيطان ! كم أنت ماهر يا صاحبي في تقديم الصحون الفارغة[1] ! وانت أيها الصبي لاڤيوليت ، كم تُجيد تقديمَ الشراب في الوقت المناسب !
(بينما يقدم أحدُ الخدم الشرابَ لسغاناريل ، يرفع الآخر صحنه)

دون جوان : — (يسمع طرق) من هذا الذي يطرق الباب على هـــذا الشكل ؟

سغاناريل : — أي شيطان جاء يُزعجنا ونحن نتناولُ الطعام ؟

دون جوان : — أريد ان أتعشى بهدوء على الاقل ، لا تسمحوا لأحد بالدخول .

---

1) A donner des assiettes nettes.

سغاناريل : — دعني أقُم بهذا الأمر ، سأذهب الى الباب بنفسي .

دون جوان : — (يرى سغاناريل وقد عاد خائفاً) ماذا دهاك ؟ من هناك ؟

سغاناريل : — (يخفض رأسه كما فعل التمثال) الـ[1] ... هو الذي هناك !

دون جوان : — هيا لنرَ ، ولنُظهر ان ما من شيء يستطيع ان يخيفني.

سغاناريل : — آه يا سغاناريل المسكين ، أين ستختبىء ؟

---

١) الكوماندور .

المشهد التاسع

دون جوان – تمثال الكوماندور

(الذي يأتي فيجلس الى المائدة) – سغاناريل – خدم

دون جوان : – احضروا بسرعة كرسياً وصحناً . (لسغاناريل) هيا ، اجلس الى المائدة .

سغاناريل : – سيدي ، لم أعد أشعر بالجوع .

دون جوان : – قلت لك اجلس هنا . اليّ بالشراب ! لنشرب نخب صحة الكومندور ! انني أقدم لك الكأس يا سغاناريل. فليقدّم له الخمر .

سغاناريل : – سيدي ، لا أشعر بالعطش .

دون جوان : – اشرب وغنّ أغنيتك احتفالاً بالكومندور .

سغاناريل : – انني مصاب بالزكام يا سيدي .

دون جوان : — لا أهمية لذلك . هيـــا . وأنتم الآخرين ، تعالوا رافقوه في الغناء .

التمثال : — كفى يا دون جوان . انني أدعوك لتتناول الطعام معي غداً . ألديك الجرأة على ذلك ؟

دون جوان : — نعم ، سأحضر ، ولن يرافقني سوى سغاناريل .

سغاناريل : — شكراً ، ولكنني صائم غداً .

دون جوان : — (لسغاناريل) خذ هذا المشعل .

التمثال : — لسنا في حاجة الى ضوءٍ عندما تقودُنا السماء .

الفصل الخامس

المشهد الأول [1]

دون لويس – دون جوان – سغاناريل

دون لويس : – عجباً ! أيمكن ، يا بني ، أن تكون رحمةُ السماءِ قد استجابت لدعواتي ؟ وهل ما قلتَه لي صحيح حقاً ؟ ألا تخدعُني بأملٍ كاذب، وهل لي ان أحظى بشيءٍ من التأكيد حول هذا الارتداد الجديد المفاجىء ؟

دون جوان : – (بنفاق) نعم، ها أنتذا تراني قد رجعتُ عن كل أخطائي؛ لم أعدْ ذلك الانسانَ الذي كنتُ مساءَ الأمس ، فقد أحدثتْ فيّ السماءُ فجأةً تغيّراً سيُدهَشُ له جميعُ الناس : لقد لمستْ نفسي وفتحتْ عينيّ [2] ، وإني لأنظر الآن باشمئزازٍ الى الضلالةِ الواسعةِ التي كنتُ مترديّاً

١) يمثل المسرح حقلاً غيرَ بعيدٍ عن المدينة .

2) Dessillé mes yeux.

فيها ، والفوضى الآثمة للحياةِ التي كنتُ أحياها .
إنني أستعرضُ في ذهني كلَّ تلك المخازي والموبقات التي ارتكبتُها ، وأعجبُ كيف استطاعتِ السماءُ أن تتحملَها كلَّ هذه المدة ، فلم تسمحْ لضرباتِ عدالتِها المخيفـةِ أن تسقطَ فوق رأسي عشرين مرة . إني أرى الآن فضلَها ورحمتَها في عدم معاقبتها إياي على جرائمي ؛ وأريدُ أن أستفيدَ من ذلك كما ينبغي ، وأن أُظهرَ لعيونِ الناس تغيُّراً مفاجئاً في حياتي ، فأصلحَ بذلك فضيحةَ أعمـــالي السابقة ، وأسعى كي أنالَ من السماءِ العفوَ التام[1] . هذا هو ما سأقومُ به الآن ، وأرجوك يا سيدتي أن تُسهمَ في هذا المسعى ، وأن تساعدَني بنفسِك على اختيار شخص يكون لي موجِّهاً ودليلا ، فأستطيعَ بارشاده أن أسيرَ سيراً أكيداً في الطريقِ التي سأسلكُها .

دون لويس : — آه ! يا بني ، مـــا أسرعَ ما يستعيدُ الأبُ حنوَّه ، وما أسرعَ ما تتلاشى اهاناتُ الابن عند أقلِّ كلمة توبةٍ يفوه بهـــا ! إنني لم أعدْ أذكرُ الآن كلَّ الهموم[2] التي سبَّبتَها لي ، ولقد امَّحى كلُّ شيء بتأثير الكلمات التي

1) Uné pleine rémission. 2) Déplaisirs.



دون لويس : فاذا كنتَ مُتعَباً من رؤيتي ، فأنا كذلك أشد تعباً من سلوكك المشين .

أسمعتَنيها . وأعترفُ لك بأنـني لم أعدْ أسيطرُ على مشاعري ، فأنا أسكبُ دموعَ الفرح ، لأن آمالي كلها قد تحققت ، وليس لي بعد الآن مـا أطلبه الى السماء . قبّلـْني يا بني ، واستمر ، أرجوك ، في هذا التفكيرِ المحمود أما أنا فسأمضي توّاً أحملُ إلى أمّك هذا الخبر السعيد ، وأقاسمُها مشاعرَ هذا السرورِ العذبِ الذي أشعرُ به ، وأتوجّهُ بالشكرِ للسماءِ على النوايا الطيّبةِ التي تكرّمتْ وألهمتك إياها .



المشهد الثاني

دون جوان — سغاناريل

سغاناريل : — آه يا سيدي ! لكم انا مسرور برؤيتك تعودُ الى جادةِ الصواب ! لقد انتظرتُ ذلك منذ أمدٍ بعيد ، وهاهي ذي أمانيّ قد تحققت كلّها والحمد لله .

دون جوان : — ليُخنقِ الطاعونُ الأبله[1] !

سغاناريل : — كيف ، الأبله ؟

دون جوان : — عجباً ، هل أخذتَ ما قلتُه مأخذ جِد ؟ وهل تُظن ان ما نطقَ به لساني يُعبر عما في قلبي ؟

سغاناريل : — كيف ! أليس ... ألست ... أنت ... أوه ! يا للرجل ! يا للرجل ! يا للرجل !

دون جوان : — لا ، لا ، انا لم أتغيرْ قط ، ومشاعري هي نفسها دائماً.

---

1) Le benêt.

سغاناريل : — ألن تؤمِنَ بتلك المعجزة العجيبة التي بدرت من هذا التمثال المتحرك الناطق ؟

دون جوان : — هناك حقاً شيءٌ ما في هذا الموضوع لا أفهمُه ؛ ولكن مهما يكن من أمر ، فان هذا لا يمكنُ ان يقنعَ عقلي او يزعزعَ نفسي ؛ واذا كنتُ قد قلتُ انني أريد ان أقوّمَ سلوكي وان أسلك مسلكاً نموذجياً في الحياة ، فقد كان ذلك بمجرد مرونةٍ سياسية ، كان خدعةً مفيدة ، ونفاقاً[1] ضرورياً ، عليّ ان أتظاهرَ به لكي أستفيدَ من أبٍ أجدني في حاجة اليه ، وأخفي عن الناس مائةَ مغامرةٍ فاشلة يمكن ان تحدث لي . أود حقاً يا سغاناريل ان أبوحَ لك بذلك ، وانني لأشعر بالراحة حين أجد لي شاهداً يرى أعماقَ نفسي ، ويقفُ على الدوافع الحقيقية التي تضطرني الى ان أفعلَ مثلَ هذه الاشياء .

سغاناريل : — ماذا ؟ انت لا تؤمن بأي شيء ، وتريدُ مع ذلك ان تبدو كأنسانٍ صالح ؟

دون جوان : — ولِمَ لا ؟ هناك كثيرون مثلي يمارسون هذه المهنة ، ويستعملون القناعَ نفسه ليخدعوا الناس !

---

1) Grimace.

سغاناريل : — آه ! يا للرجل ! يا للرجل !

دون جوان : — لم يعد هناك الآن ما يُخجل في هذا السلوك : فالنفاقُ رذيلةٌ منتشرة اليوم ، وكل الرذائل العصرية تُعتبر فضائل . ان دور الرجل الصالح ، هو أحسن الأدوار التي يمكن ان نقوم بتمثيلها اليوم ، ولمهنة النفاق مزايا عجيبة . انها فن يستطيع به المخادعُ ان يَنعم بكل احترام ؛ ومهما اكتشف الناس أمره ، فانهم لا يجرؤون على ان يقولوا شيئاً ضدّه . ان كل الرذائل البشرية الاخرى عرضةٌ للانتقاد ، ويستطيع كلُّ انسانٍ ان يُهاجمها جهاراً ؛ اما النفاق ، فرذيلة لها مزاياها[1] ، وهي تكمُّ بيدها فمَ كلِّ انسان ، وتتمتع بحصانةٍ مطلقة . ان النفاق يربط جميعَ من يمارسونه برباطٍ متين . فاذا هوجم احدُ المنافقين ، تكاتفَ معه الآخرون لحمايته ، حتى الذين يتصرفون عن نية حسنة ، والذين يعلمون أنهم تأثروا بذلك حقاً . ان هؤلاء كما قلتُ ، هم دائماً موضع خديعة الآخرين ، فهم يقعون بسرعة في شِراكهم . والمنافقون يقدمون مساعداتِهم على نحوٍ أعمى لكل من سلكَ طريقَهم .

1) Privilégié.

كم شخصاً تظن اني أعرفُ ممن استطاعوا بهذه الطريقة ان يُخفوا بمهارةٍ مفاسدَ شبابهم ، وان يتخذوا من رداء الدين ترساً ، وتحت هذا الرداء المحترم ، سُمح لهم أن يكونوا أسوأ الناس خُلقاً ؟ ومهما تنبه الناس لمكائدهم ، أو عرفوهم على حقيقتهم ، فان ذلك لا يزعزعُ من مكانتهم بين الناس ؛ يكفي ان يُحنوا رؤوسَهم مرة أو مرتين ، أو يتأوهوا آهةَ ندم وتوبة ، أو دورتين من دوران عيونهم ليُصححوا بين الناس كلّ ما يمكن ان يفعلوه . وانه لتحت هذا الملجأ الأمين أريدُ أن أحمي نفسي ، فاضمن بذلك الأمانَ لمصالحي . لن أتخلى أبداً عن المتع العذبة التي تعودتُها ، ولكني سأحرص على ان أستمتع في الخفاء[1] وألهو من غير ضجة . واذا اكتُشِفَ أمري ، فلن أحرّك ساكناً ، لأن جميعَ أعضاءِ جمعيةِ المنافقين[2] سيهتمون بي ، وسيدافعون عني ضد جميع الناس . وهذا أخيراً هو السبيل الصحيح كي أفعلَ كلّ ما أريده دون ان ينالني أيّ عقاب . سأفرض نفسي رقيباً[3] على أعمال الآخرين ، وسأسيءُ الحكمَ على كل الناس ، ولن أحمل

---

1) A petit bruit. 2) Cabale. 3) Censeur.

فكرةً حسنة إلا عن نفسي . وإذا حدث ان جرحَ إنسانٌ شعوري أدنى جُرح ، فلن أصفحَ عنه أبداً ، بل سأحتفظ له بالخفاء بعِداء لا هوادةَ فيه[1]. سأجعلُ من نفسي منتقماً باسم السماء ، وباسم هذا الادعاء اليسير سأهاجم أعدائي ، وأتهمُهم بالكفر ، وأعرفُ كيف أثيرُ عليهم المتعصبين[2] الذين لا يكتمون الأسرارَ ممن يصرخون ضدهم علناً ، دون ان يعرفوا لذلك سبباً ، فيرمونهم بالشتائم ، ويغمرونهم بالإهانات ، ويحكمون عليهم جهراً بسلطانهم الخاص . هكذا يتوجب على الإنسان ان يستفيدَ من ضعف الانسان ، وهكذا يتوجبُ على الرجل الحكيم ان يتأقلم مع رذائل عصره .

سغاناريل : — يا للسماء ! ماذا اسمعُ هنا ؟ لم يكن يَنقصك إلا أن تكون منافقاً حتى تكتملَ من جميع النواحي ، وهذه هي ذروةُ الفواحش . سيدي ، ان هــذه الشناعةَ الاخيرة تُثيرني ، ولا أستطيعُ أن أمنعَ نفسي عن الكلام . افعلْ بي كلَّ ما يحلو لك ، اضربني ، اقتلني ضرباً ، اذبحني إذا أردتَ : يجب أن أفرغ ما في قلبي ،

1) Irréconciliable. 2) Zélés.

وان أقول لك ما يجب أن أقوله كخادم مخلص . إعلم يا سيدي أن الجرّة لا تسلُم كلّ مرة ، والانسان ، على حدّ تعبير ذلك الكاتب الذي أجهل اسمَه هو عصفور على الغصن ، والغصنُ معلق بالشجرة ، ومن يتعلق بالشجرة يتبعُ أفضل الآراء ؛ والآراءُ الصائبة أحسنُ من الاقوالِ الجميلة ؛ والاقوالُ الجميلة توجدُ في البلاط ؛ وفي البلاط يوجدُ متزلّفون ، والمتزلّفون يتبعون آخر طِراز ؛ وآخر طِراز يأتي وليدَ المخيلة[1] ؛ والمخيلة خاصةٌ من خواص الروح ، والروح هي التي تبعث فينا الحياة ، والحياة تنتهي بالموت ، والموتُ يجعلُنا نفكرُ في السماء ، والسماءُ هي فوق الارض ، والارضُ ليست بحراً ، والبحر عرضةٌ للعواصف ، والعواصف تعصفُ بالسفن ، والسفن بحاجة الى رُبان ماهر ، والربان الماهر يمتازُ بالحذَر ، والحذَر ليس من شيمة الشبان ، وعلى الشبان أن يُطيعوا الشيوخ ، والشيوخ يحبون الثروات ، والثرواتُ تخلق الاغنياء ، والاغنياءُ ليسوا فقراء ، والفقراء يشعرون بالعوز ، والعوز ليس له قانون ، ومن

1) Fantaisie.

ليس له قانون يعيشُ حياةَ البهيمة؛ وعلى ذلك فسيكون مصيرُكَ الى الشياطين ، ويُقضى عليك بالهلاك الأبدي.

دون جوان : — يا لِلمنطق الجميــل !

سغاناريل : — وإذا لم تتبْ الى رُشدك بعدَ هذا ، فالويل لك .



المشهد الثالث

دون كارلوس - دون جوان - سغاناريل

دون كارلوس: - دون جوان ! ها أنذا ألقاكَ في الوقت المناسب ، ويسرّني أن أكلمَك هنا من أن أكلمك في منزلك لأسألك عما انتهى إليه عزمُك . انت تعرف ان هذا الأمر[1] يَعنيني ، وانني أخذته أمامك على عاتقي . أما أنا فلا أكتم ذلك قط وأتمنى من كل قلبي أن تُسوّى الامورُ بطريقة وُدية. وليس هناك ما لا أفعله كي أحملك على قَبول هذه الطريقة ، وأراك تُعلن للناس بأن أختي هي زوجتك .

دون جوان : - (بلهجة مرائية) واأسفاه ! بودي لو أمنحُك من أعماق قلبي هذه الترضية التي تتمناها ، ولكن السماءَ تُعارض ذلك مباشرة . فقد أوحتْ إليّ أن أغيّر حياتي ،

1) Soin.

وليس لديّ أيُّ تفكير الآن ، إلا أن أتخلى عن كل الروابط الارضية[1] ، وان أنزعَ عن نفسي بأسرع وقت كلّ أنواع الغرور ، وان اقوّم ، في المستقبل ، بسلوكٍ صارمٍ كلّ الانحرافات المجرمة التي قادتني إليها ُحمّى الشباب الأعمى .

دون كارلوس :— هذه النية يا دون جوان لا تتعارض ابداً مع ما قلتُه لك ؛ فمعاشرةُ زوجةٍ شرعية تتفق تماماً مع النوايا الطيبة التي أوحتْ اليكَ بها السماء .

دون جوان : — وا أسفاه ! كلا على الاطلاق . انه عزمٌ عقدتْ اختُك بنفسِها عليه : فقد قررتِ الاعتزال ، ولقد ادركتْنا الهداية في وقت واحد .

دون كارلوس: — ان اعتزالها لا يمكنُ ان ُيرضينا ، فربما ُيعزى ذلك الى الإهانة التي ألحقتَها بها وبأسرتِنا ، وان شرفنا يقضي بأن تعيشَ معك .

دون جوان : — اؤكد لك ان ذلك غيرُ ممكن . لقد كنتُ أتمنى هذا الزواج من كل قلبي ، بل لقد استشرتُ السماء في

1) Attachements du monde.

ذلك هذا اليوم ، وحين سألتُها رأيها سمعتُ صوتاً يقول لي إن عليّ ألا أفكرَ ابداً في اختك ، وانني لن أحصلَ معها على خلاص نفسي .

دون كارلوس: هل تعتقدُ يا دون جوان انك تستطيع ان تخدعَنا بمثل هذه التّعلات الجميلة ؟

دون جوان : — انني أستجيبُ لصوتِ السماء .

دون كارلوس: — واعجباً ! أتريدُ ان أقتنع بمثل هذا الكلام ؟

دون جوان : — هكذا تريد السماء .

دون كارلوس: — أتكونُ قد اخرجتَ اختي من الدير لتهجرَها بعد ذلك ؟

دون جوان : — هذه ارادةُ السماء .

دون كارلوس: — ماذا ؟ السماء دائماً ؟

دون جوان : — السماءُ تتمنى ذلك على هذا النحو .

دون كارلوس: — كفى يا دون جوان ، لقد فهمتُ ما تقصد . لن اشتبكَ معك هنا ، فالمكان لا يساعد على ذلك ؛ ولكني عما قريب سأعرف كيف أجدُك .

دون جوان : – افعلْ ما تريد . فانت تَعلم ان الشجاعةَ لا تَنقصني ، وانني أعرف كيف أستخدمُ سيفي عند اللزوم. سأذهب حالاً الى ذلك الشارع الضيق المنعزل الذي يؤدي الى الدير الكبير . ولكنني أنبئُك من جهتي بانني لستُ ذاك الذي يَدعو الى القتال : فالسماء تحظُر عليّ هذه الفكرة ؛ اما اذا هاجمتَني فسنرى ماذا يحدث .

دون كارلوس: – سنرى ، حقاً ، سنرى .

المشهد الرابع

دون جوان – سغاناريل

سغاناريل : – سيدي ، أيُّ أسلوب شيطاني هذا الذي اتخذتَه ؟ انه لأسوأ من سائر أساليبك ، واني لأحبك أكثر وأنت في وضعك الذي كنتَ عليه فيما مضى . كنت آمل دائماً في خلاصك ، اما الآن ، فانا يائسٌ منه ، وأعتقد ان السماءَ التي تحملتْك حتى الآن ، لن تستطيعَ ان تتحمل أبداً هذه الفظاعةَ الأخيرة .

دون جوان : – هيا ، هيا ، ليستِ السماءُ على شيء من هذه الدقة كما تظن ، واذا كان الناس في كل مرة ...

سغاناريل : – (يرى شبحاً) آه يا سيدي ، انها السماءُ تتحدثُ اليك ، وهذا انذارٌ توجّهه اليك .

دون جوان : – اذا كانت السماء تنذرني ، فيجب ان تتكلمَ بمزيدٍ من الوضوح اذا أرادتْ ان أصغي اليها .

المشهد الخامس

دون جوان – شبح (في هيئة امرأة محجبة) – سغاناريل

الشبح : – لم يُعد أمام دون جوان الا برهة ٌ واحدة يستطيع فيها ان يستفيدَ من رحمة السماء ؛ واذا لم يتُب عن ذنوبه الآن فان هلاكَه محقق .

سغاناريل : – هل سمعتَ يا سيدي ؟

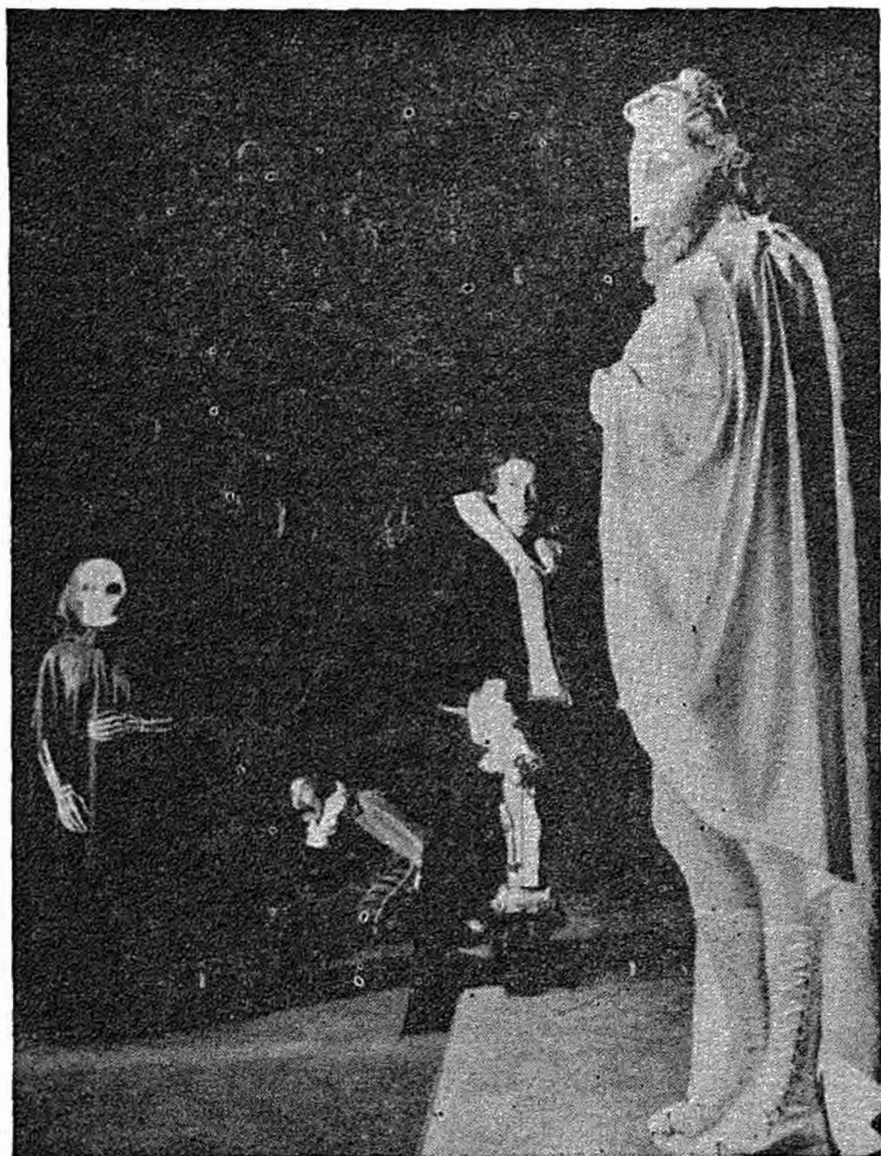
دون جوان : من يجرؤ على التفوّه بهذه الأقوال ؟ أعتقد انني أعرف هذا الصوت .

سغاناريل : – آه يا سيدي ، انه شبح : انني أعرفه من مِشيته .

دون جوان : – سواء أكان شبحاً ام طيفاً ام شيطاناً ، فانا أريدُ ان أرى من يكون .

(يغير الشبح شكله ويمثّل « الزمن » ومنجله في يده)

سغاناريل : – يا للسماء ! أرأيت يا سيدي كيف غيّر شكله ؟



سغاناريل : يا للسماء ! أرأيتَ يا سيدي كيف غيّر شكله؟

دون جوان : — لا ، لا ، ما من شيء يستطيع ان يُثيرَ فيّ الخوف ، وأريد ان أختبر بسيفي ان كان هذا جسداً ام روحاً .
(يطير الشبح في اللحظة التي يريد فيها دون جوان ان يضربه)

سغاناريل : — آه يا سيدي ، تبْ الى رُشدك وآمن بكل هذه البراهين . ألقِ بنفسِك سريعاً في أحضان التوبة .

دون جوان : — لا ، لا ، لن يُقال عني ، مهما يحدثْ ، انني جدير بالتوبة . هيا ، اتبعني .



المشهد السادس

التمثال – دون جوان – سغاناريل

التمثال : – قف يا دون جوان . لقد وعدتَني بالأمس ان تأتي لتتناول الطعامَ معي .

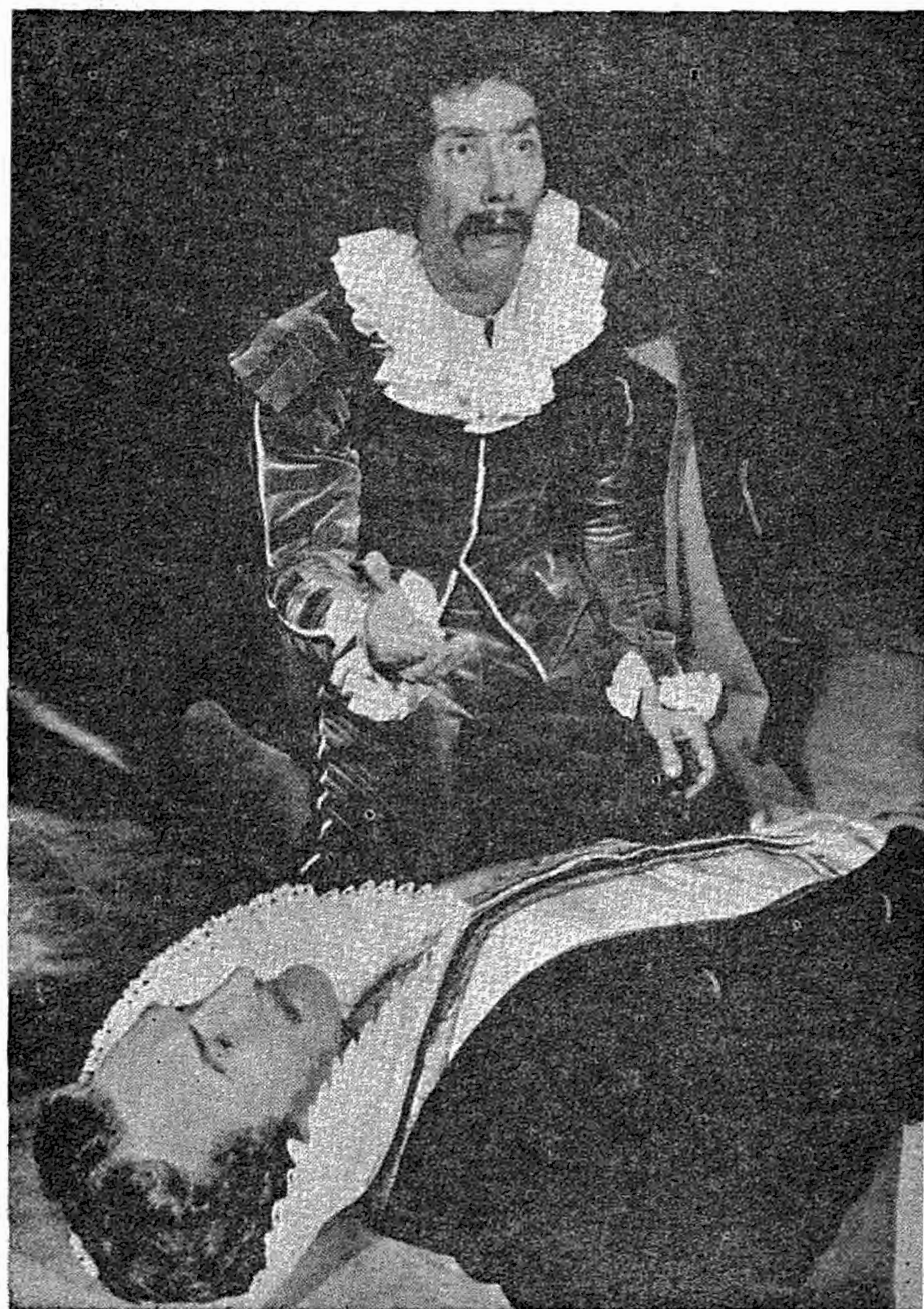
دون جوان : – نعم . وأين ينبغي ان أذهب ؟

التمثال : – أعطني يدك .

دون جوان : – ها هي ذي .

التمثال : – ان التصلّب في الخطيئة يا دون جوان ، يقودُ الى ميتة مشؤومة ، وإنّ نِعم السماءِ التي يرفضها الإنسانُ تفتح لصواعِقها الطريق .

دون جوان : – يا للسماء ! ما الذي أشعر به ؟ ان ناراً خفية تحرقـُني، وليس باستطاعتي ان أتحمّل أكثرَ من هذا ، لقد أصبح جسمي كله أتوناً مشتعلاً . آه !



سغاناريل : ها هوذا موتـه قد أرضى جميع الناس .

(تسقط الصاعقة بصوت كبير وينزل البرق على دون جوان ، وتنشقُّ الأرضُ وتبتلعُه ، وتخرجُ من المكان الذي سقط فيه نيرانٌ عظيمة) .

سغاناريل : — آه !.. ها هو ذا موتُه قد أرضى جميعَ الناس: السماء التي جدّف عليها ، القوانين التي خرقَها ، الفتيات اللواتي أغواهن ، الأسَر التي أهدر كرامتَها ، الأهل الذين أهانهم ، الزوجاتُ اللاتي أساءَ اليهن ، والأزواج الذين عيلَ صبرُهم ، كلُّ الناس مسرورون . ليس ثمة من بائس غيري أنا الذي لم أنَلْ من جزاءٍ بعد سنوات طويلةٍ من الخدمة ، الا ان أرى بعينيّ سيدي يُعاقَب على كفره بأرهبِ عقاب في العالم .

— تمت —

روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

يصدر تباعاً

١	السيد	مأساة	بيير كورني
٢	أندروماك	مأساة	جان راسين
٣	المتحذلقات	ملهاة	موليير
٤	طرطوف	ملهاة	موليير
٥	فيدر	مأساة	جان راسين
٦	بايزيد	مأساة	جان راسين
٧	هوراس	مأساة	بيير كورني
٨	النساء العالمات	ملهاة	موليير
٩	برنيس	مأساة	جان راسين
١٠	البخيل	ملهاة	موليير
١١	مريض الوهم	ملهاة	موليير
١٢	الطبيب رغماً عنه	ملهاة	موليير
١٣	دون جوان	ملهاة	موليير
١٤	بريتانيكوس	مأساة	جان راسين
١٥	كاره البشر	ملهاة	موليير
١٦	إيفيجيني	مأساة	جان راسين
١٧	متريدات	مأساة	جان راسين
١٨	المثري النبيل	ملهاة	موليير
١٩	مدرسة الازواج	ملهاة	موليير
٢٠	سينا	مأساة	بيير كورني
٢١	بوليوكت	مأساة	بيير كورني
٢٢	نيكوميد	مأساة	بيير كورني
٢٣	رودو غين	مأساة	بيير كورني
٢٤	أتالي	مأساة	جان راسين

تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع

دار الكتاب اللبناني

بيروت ص.ب ۳۱۷٦ - تلفون ۲۲۷۹۸۳

سنة ۱۹٦۷

MOLIÈRE

DON JUAN

Comédie

Éditeurs :

DAR AL-KITAB AL-LUBNANI

BEYROUTH